السيدة
أم البنين
سيرتها - كراماتها

الشيخ
أشرف الزهيري الجعفري

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات


مكتبة الروضة الحيدرية


مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

أم البنين

سيرتها - كراماتها


بسم الله الرحمن الرحيم

أم البنين

سيرتها - كراماتها

إعداد

الشيخ أشرف الزهيري الجعفري

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى صاحبة المواقف المشرّفة، إلى صاحبة الكرامات الباهرة، إلى المرأة التي أعلنت مظلومية الإمام الحسين عليه السلام على الملأ.

إلى السيدة فاطمة بنت حزام (أم البنين عليها السلام).

المؤلف

الفصل الأول

المرأة والرجل في مضمار السباق

هل يمكن للمرأة أن تتفوق على الرجل في ميادين المعرفة والعمل والتقوى والجهاد وغير ذلك فتصل إلى ما يعجز الرجل عن الوصول إليه كما وصلت السيدة الجليلة أم البنين عليها السلام ؟

للإجابة على هذا التساؤل نحتاج في البدء أن نحرر أمرين هامين لهما مدخلية كبيرة في الإجابة .

الأمر الأول: تساوي الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية .

الأمر الثاني: بيان مقاييس التفاضل بين الرجل والمرأة وهل هي اختيارية أم قهرية . ولكي يتضح المطلب نشير إلى هذين الأمرين بشيء من الإيضاح :

الأمر الأول ـ تساوي الرجل والمرأة في القيمة الاجتماعية:

هل إن الرجل والمرأة متساويان في القيمة الإنسانية بمعنى أن كلاً منهما إنسان لا تمايز بينهما في هذا الجانب أم أن الرجل يتفوق في إنسانيته على المرأة؟ .

هناك ومنذ الجاهلية الأولى تصورات خاطئة تميز بين الرجل والمرأة وأنها إنما خلقت من أجل الرجل، ولولا الرجل لما خلقت المرأة؟.

وبالتالي فهي أقل قيمة من الرجل، وأدنى مرتبة وفضلاً، وما دامت كذلك فلتبق طوع أمره، أصاب أم أخطأ، تعيش على هامشه تابعةً له في أهوائه، ليس لها من الأمر شيء.

لكن هذه التصورات سرعان ما بددها الإسلام، فجاء القرآن وفي العديد من الآيات المحكمات ليؤكد على وحدة النوع الإنساني بين الذكر والأنثى وأن منشأهما واحد وعبر نظام واحد، لا اختلاف فيه.

كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾(1) وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾(2).

وإن الهدف من خلق الإنسان ذكراً كان أم أنثى هو تحقيق

---

(1) سورة الطارق، الآيات: ٥ ـ ٧.

(2) سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٣٩.

العبودية لله وحده كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1].

وإن عداء الشيطان لهما مشترك فليس الشيطان عدوًا للرجل فقط دون المرأة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

فعداوته للإنسان ذكراً كان أم أنثى، وأنَّ وصية الله تعالى بضرورة رعاية حقوق الوالدين والإحسان إليهما لا تختص بالذكر دون الأنثى كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾[3].

وكذلك كل آية فيها ذكر كلمة (الناس) أو (الإنسان) لا تختص بالرجال بل تشمل النساء أيضاً.

وقد ورد أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر: يا أيها الناس وكانت الجارية تمشطها، فقالت للجارية: استأخري عني (أي أمهليني حتى أسمع) فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فأجابتها أم سلمة: إني من الناس[4].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٥.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.
(٤) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٩٥.

كما أنَّ الواضح من القرآن الكريم اشتراك الرجال والنساء في مختلف الخطابات التكليفية العبادية والمعاملاتية كأداء الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرية البيع والشراء، والمساقاة والمزارعة والمضاربة وغير ذلك مما نطقت به الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾(١).

إلى غير ذلك من الآيات التي لا تخاطب الرجال وحدهم بل تشمل النساء أيضاً. ومن ثم نصل إلى حقيقة ثابتة تبين لنا تساوي الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية وفي التكاليف الشرعية ولا توجد مفارقة إلا في موارد بسيطة جداً كموارد العذر الشرعي مثل قعود المرأة عن الصلاة أيام الطمث، وسقوط الصوم عن الرجل المسن العاجز، وفيه (أي العذر الشرعي) يشترك الرجل والمرأة كلٌّ بحسب عذره.

وقد يتذرع البعض ببعض النصوص الدينية ليستدل بها على أفضلية الرجل ذاتاً على المرأة كقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾(٢). ولكن الآية المباركة لا تدل على الأمر المراد، ذلك لأنها تتحدث عن العلاقة الزوجية وأن الرجل مسؤول عن القيام بحقوق زوجته والإنفاق عليها ورعايتها وحمايتها كمسؤولية شرعية كلفه الله تعالى بها وهي مسألة (القوامة) وليس المراد من الآية أن كل رجل قوام على كل امرأة حتى لو كانت خارج نطاق الزوجية والأسرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

ومسألة (قوامة) الرجل (الزوج) على المرأة (الزوجة) تأتي أهميتها لضبط نظام الأسرة، لأنه لو لم يكن للأسرة مسؤول لاختل نظامها وهذا ما يحكم به العقلاء، وعوداً إلى الآية المباركة. فالقيّم، معناه الذي يقوم بأمر غيره والقوّام والقيّام مبالغة منه، والمراد بما فضل الله بعضهم على بعض هو ما يفضل ويزيد فيه الرجال بحسب الطبع على النساء من شدة البأس والقوة والطاقة على الشدائد من الأعمال ونحوها فإن حياة النساء حياة أرادها الله أن تكون عاطفية مبنية على الرقة واللطافة بما يتناسب مع ما هو مطلوب منها من الحنو على الأطفال وأمثال ذلك، وبالحزم من جانب والعاطفة من جانب آخر يستقيم نظام الأسرة، وإلا فما ظنك بأسرة تعيش بلا حنو ولا عاطفة بل حزم في حزم؟.

فالنساء هنا يفضلن على الرجال بزيادة في درجة العاطفة والرجال هنا يفضلن على النساء بزيادة في درجة البأس والقوة فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الحمل والإرضاع وما أشبه مختصاً بالزوجة وأن تكون القوامة والإنفاق وإدارة شؤون الأسرة كل ذلك مختصاً بالرجل.

وهذه القوامة تكون أيضاً في حدود العلاقة الزوجية فقط وما زاد على ذلك فخارج عن دائرة القوامة فلا شأن للزوج بآراء زوجته

وأفكارها ولا بتصرفاتها المالية أو مواقفها الاجتماعية وما أشبه.

يقول الشيخ مهدي شمس الدين رحمه الله: «والظاهر من الآية الكريمة أن المراد منها قوامية الرجال على النساء في الأسرة فقط وباعتبار الزوجية فقط، بحيث لا منافاة بين كون الزوج قيّماً على المرأة باعتباره زوجاً، وتكون قيّمة عليه باعتبار آخر ككونها رئيسة لجمعية خيرية أو سياسية أو نقابية هو عضو فيها»[1].

الأمر الثاني ـ معايير التفاضل بين الرجل والمرأة:

مما سبق تبين أن الرجل ليس بأفضل من المرأة باعتبار رجولته وأن المرأة ليست بأقل من الرجل باعتبار أنوثتها، بل هما متساويان في القيمة الإنسانية بينهما من جهة، نعم هناك قيم ومبادئ أرشدنا إليها الإسلام وجعلها معايير وموازين للتفاضل بين الناس فمن كان ملتزماً بها كان عند الله أكرم وأفضل. وهي أربعة معايير:

الأول ـ التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

---

(١) أهلية المرأة لتولي السلطة.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وقال ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»[1]، فمن كان أتقى وأقرب إلى الله وأكثر التزاماً بأوامره واجتناباً لنواهيه فهو الأكرم عند الله سواء كان رجلاً أم امرأة، حراً أم عبداً، أحمر أم أسود، عربياً أم أعجمياً. وهذا المعيار هو أهم المعايير فبه تنفع المعايير الأخرى، وبدونه لا قيمة لها إلا عند أهل الدنيا.

الثاني ـ العلم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[3].

وقال الرسول ﷺ: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلُّ الناس قيمة أقلهم علماً»[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا شرف كالعلم»[5].

وقال عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير

(١) كنز العمال: حديث رقم ٥٥٦٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٤) البحار: ج١، ص١٦٤.
(٥) النهج: الحكمة، ص١١٣.

أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك»[١].

وفي شعر منسوب له عليه السلام قال:

الناس من جهة التمثال أكفاءُ أبـــوهـــم آدم والأم حـــواء

إلى أن يقول:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلآء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء[٢]

فمن كان أكثر علماً كان أكثر جدارة ونفعاً لنفسه ولغيره بل وأكثر طاعة لله تعالى وخشوعاً له قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٣]، ومن ثم يكون هذا المعيار مرتبطاً بالمعيار الأول.

الثالث ـ العمل كيفاً لا كماً:

وهذا المعيار مرتبط بالمعيار الأول أيضاً، ذلك لأن التقوى لا تتم إلا بالعمل وإنما أفردنا (للعمل) نقطة خاصة وجعلناه معياراً لزيادة التوضيح ولدفع وهم، إذ ربما يظن البعض أن

(١) في ظلال نهج البلاغة: لمغنية، ج٤، الحكمة، ص٩٢.
(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

التقوى تعني الركون في صومعة العبادة والزهد، ولا ترتبط بدخول ساحة العمل.

وإلا فالدين عمل كله، والآيات التي تشير إلى هذا المعيار كثيرة جداً.

منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4].

فعمل الإنسان هو الذي يحدد موقعه عند الناس وعند الله،

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٧.
(٣) سورة هود، الآية: ٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

في الدنيا وفي الآخرة ومعلوم بالبداهة أن العمل الحسن يختلف عن العمل السيئ والعمل الأحسن يختلف عن العمل الحسن، لذلك أكد القرآن على (العمل الأحسن) فجاء: بصيغة التفضيل (أحسن) كما عبّر بالكيف لا بالكم في قوله: ﴿ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ذلك لأن المقام مقام تفاضل فمن كان (أحسن عملاً) كان الأفضل والأكرم عند الله تعالى.

الرابع ـ النّفع لعباد الله:

وهذا المعيار يرتبط أيضاً بالمعيار الثالث، وإنما أفردنا له نقطة تأكيداً على أهميته، خصوصاً وقد ورد عن الرسولﷺ وأهل بيته عليهم السلام الكثير من النصوص التي تؤكد على أهميته من قبيل ما قاله ﷺ حينما سئل: من أحب الناس إلى الله تعالى؟ قال ﷺ: «أنفع الناس للناس»[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: «خير الناس من انتفع به الناس»، فمن كان أكثر نفعاً للناس كان الأحب لله تعالى والأكرم عنده سواء كان رجلاً أم امرأة».

ومن هذا المنطلق تكتشف حرص الإسلام على رعاية حقوق هذا الإنسان، وكرامته، وحرمة الإضرار به، أو هتك حرماته.

(١) سفينة البحار: مادة (نفع).

فهذه الأمور الأربعة (التقوى والعلم والعمل والنفع لعباد الله) التي جعلها الإسلام مقاييس ومعايير للتفاضل وإن جمعها عنوان التقوى دقيّاً يمكن لأي إنسان أن يتحصل عليها وتكون نسبة حصوله منها مرتبطة بمقدار جده واجتهاده وسعيه والتزامه وإرادته، فهي معايير كسبية يتحصل عليها الإنسان بالعمل، واختيارية يكون الإنسان مخيراً في الحصول عليها ليس مكرهاً مسلوب الإرادة.

كما أن مضمار السباق في ميدان هذه الأمور الثلاثة ليس خاصاً بالرجل فالمرأة معه في هذا المضمار ومن كان الأسبق كان الأفضل ويشير القرآن في جملة من الآيات إلى هذا الأمر.

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

فالمرأة كما الرجل فمن كان منهما أكثر جهاداً وصبراً وأكثر تقوى، وعلماً وأحسن عملاً كان هو الأكرم والأفضل عند الله تعالى ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾[1].

فالمؤمن التقي العامل للصالحات سواء كان رجلاً أو امرأة يكون هو صاحب قصب السبق في هذا المضمار فالمؤثر هو التقوى والعمل الصالح وليس الذكورة أو الأنوثة.

وفي الجملة هذه الأمور الثلاثة: (التقوى، والعلم، والعمل) معايير يمكن لكل من الذكر والأنثى التنافس فيها ليحقق كل منهما الفوز كلٌّ بحسب المستوى الذي يتحصل عليه منها، وليست أموراً قهرية لا حيلة للإنسان فيها، كالمعايير التي تضعها بعض المجتمعات من قبيل أن التفاضل باللون والعرق والطول والقصر، أو توضع معايير لا تعود على الفرد والمجتمع إلا بالآثار السلبية من قبيل جعل الأفضلية لمن يأكل أكثر أو يشرب أكثر، أو يكون تحت سطح الماء ممتنعاً عن التنفس مدة أطول أو من يكون شاربه أو أظافر يده أطول أو من يكون رصيده في البنك أكثر، أو من تكون هي الأجمل في مسابقات الاستهتار بعفة المرأة وكرامتها فيما يسمى بمسابقات ملكات جمال العالم فهذه مقاييس التفاضل عند أهل اللهو والفراغ لا عند العقلاء.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

الطريق نحو التفوق على الرجال

بعد أن تبين لنا مما سبق أن الرجل والمرأة متساويان في القيمة الإنسانية وأنهما معاً في مضمار السباق نحو العلياء وارتقاء سلم المجد وكلٌّ حسب عمله واجتهاده وتقواه وما يتحصل عليه من علم نافع إذ يمكن للمرأة أن تتفوق على الرجل بل الرجال. ويمكن للرجل أن يتفوق على المرأة بل النساء، بقي أن نتعرف على الطريق الذي يمكن للمرأة إذا ما سلكته أن تتفوق على الرجال، وهذا الطريق يمر عبر النقاط التالية:

أولاً ـ عدم الاستسلام للنظرة الدونية للمرأة:

قد تعيش المرأة المؤمنة في ظل مجتمع متخلف، يعيش العصور الوسطى في نظرته للمرأة، فلا تجد المرأة المؤمنة حولاً ولا قوة إلا الاستسلام لذلك الواقع الفاسد والمجتمع المتخلف، وهذا خطأ لأن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي من الإنسان رجلاً كان أم امرأة أن يقوم بمسؤوليته الإصلاحية، والتغييرية، لا أن يقف متفرجاً، فضلاً من أن ينعكس ذلك الواقع

على نفسه فلا يجد سبيلاً سوى الاستسلام والانخراط مع الانحراف فيكون جزءاً منه.

إن النظرة الدونية للمرأة أرادها (الرجال المصلحون) لتعيش المرأة على هامش الرجل يقضي وطره منها متى وكيفما أراد، وتعيش في هذه الحياة على أنها جسد لا أكثر، وهذا ما لم يرضاه الإسلام لها فهي إنسانة خلقها الله تعالى لعمارة الأرض وإصلاحها وتعيش مع الناس مكرمة لها حقوق وعليها واجبات كما هو شأن غيرها من سائر البشر وفق نظام كوني متقن دبّره الحكيم العليم الذي بيده ملكوت كل شيء، وأما كيف يمكنها أن لا تستسلم لتلك النظرة الدونية الظالمة فهذا يتم عبر ما يلي:

١ ـ وعي نظرة الإسلام إلى المرأة، وهذا يتطلب منها التعلم لأن بالعلم يُطاع الله ويُعبد.

٢ ـ عدم الانفعال أو التأثر إذا ما رأت من يُسقط من حظها أو يسخر منها باسم الإسلام وأن تدرك أن تحمل الأذى في سبيل الله هو طريق كل المؤمنين والمصلحين الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصديقين.

٣ ـ أن تعمل على تغيير الواقع الفاسد بالحكمة والكلمة الطيبة والمداراة وأن تدرك أن بلوغ القمة يبدأ من خطوة.

ثانياً ـ الثقة بالنفس:

وهذه مرحلة ثانية يغذيها الإيمان بالله والوعي لتعاليم الإسلام ومبادئه وتشريعاته، فعلى المرأة أن تثق بنفسها وتدرك أنها يمكن أن تكون صاحبة رأي مستقل عن الرجل حتى في مجال التشريع، فيمكن أن تبلغ درجة الاجتهاد وتكون فقيهة لأن الاجتهاد والفقاهة ليس وقفاً على الرجال ومحظوراً على النساء، كما يمكن أن تكون راوية للحديث كما الرجل فإن التاريخ يذكر لنا أسماء المئات من النساء اللواتي روين الحديث عن الرسولﷺ وعن أهل بيته عليهم السلام كلبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية وهي من فواضل نساء عصرها روت عن النبيﷺ ثلاثين حديثاً، أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة أحاديث أحدها متفق عليها، والثاني للبخاري والثالث لمسلم.

وميمونة بنت سعد مولاة النبيﷺ التي روى لها أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ومعاذة أم سعد بن معاذ، ونفيسة بنت أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث[1] وغيرهن كثير بل قد بلغ عدد من لهن رواية من الصحابيات في الكتب الستة لأهل السنة مائة واثنتين وثلاثين امرأة.

---

(١) أعيان النساء: للحكيمي، ص٥٥١ ـ ٦٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٦١٤.

يقول أحد الباحثين: «وكان للنساء الراويات ـ في القرون السابقة ـ منقبة ومفخرة انفردت بها عن الرواة، هي أنه لم يكن منهن امرأة اتهمت بالكذب أو الوضع، أو ترك حديثها، بينما وصف المئات من الرجال بهذه الأوصاف» . . .

قال الذهبي في أواخر كتابه (ميزان الاعتدال): «وما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها، وعقد ابن عراق الكناني فصلاً سرد فيه أسماء الوضاعين، والكذابين، فبلغوا المئات، لم توجد فيهم امرأة واحدة، فحسب النساء بذلك فخراً»[1].

ويمكن أن تكون معلمة للرجال إذا ما بلغت درجة عالية من العلم والفقه والمعرفة كما حصل للسيدة نفيسة[2] ابنة الحسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام صاحبة المقام المشهور والمعروف بكراماته في القاهرة عاصمة مصر، والسيدة نفيسة من ربات العبادة والصلاح والزهد والورع حفظت القرآن الكريم، وتفسيره، ويروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها بالحديث، وكانت كثيرة البكاء، تديم قيام الليل، وصيام النهار، وكانت

(١) جهود المرأة في رواية الحديث: ص٨٥، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
(٢) ولدت بمكة المكرمة سنة ١٤٥هـ، ونشأت بالمدينة المنورة، ثم دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق حتى توفيت سنة ٢٠٨هـ.

لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيئاً.

وحجت ثلاثين حجة، وكانت تبكي بكاءً شديداً وتتعلق بأستار الكعبة وتقول: إلهي وسيدي ومولاي متعتي وفرحتي برضاك عني، وقالت زينب بنت يحيى المتوج: خدمتُ عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها إلا الفائزون(١).

ويقول الأستاذ عبد اللطيف فايد: كانت دارها مزار كبار العلماء في عصرها، يجلسون إليها، ويستمعون منها، ويناقشون مسائل العلم معها . . . ومن العلماء الذين لم ينقطعوا عن زيارتها للتزود من علمها إسماعيل بن يحيى المزني، وهو فقيه عالي المعرفة بالدين، كثير التلاميذ، ومن العلماء الذين داوموا على التعلم في مجلسها ثوبان بن إبراهيم، المعروف بذي النون المصري، وعثمان بن سعيد المصري، وعبد الله بن الحكم الذي انتهى إليه مجلس الإمام مالك، وكذلك عبد السلام بن سعيد الفقيه المالكي الذي غلب عليه اسم سحنون، ومنهم يوسف بن يحيى البويطي الذي أسند إليه الإمام الشافعي رئاسة حلقته في التدريس.

(١) أعيان النساء: للحكيمي، ص٦١٥.

ويعتبر الإمام الشافعي أكثر العلماء جلوساً إليها، وأخذاً عنها، في الوقت الذي بلغ فيه من الإمامة في الفقه مكاناً عظيماً، فقد كان يعتبر مجلسه في دارها مجلس تعلم عنها، ومجلسه في مسجد الفسطاط مجلس تعليم للناس، وللإمام أحمد بن حنبل نصيب في الأخذ عن نفيسة (رضي الله عنها)، وبهذا تكون نفيسة ذات أثر علمي في فقه عالمين كبيرين من أئمة المسلمين وهما الشافعي وأحمد بن حنبل(١).

وهكذا تتفوق المرأة على الرجال بالعلم والعمل والتقوى كما يمكن للمرأة أن تخوض ميادين الجهاد بلسانها ومواقفها إذا لم تجد سبيلاً غير ذلك كما حصل للصديقة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس ابن زياد حين سألها شامتاً كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسن وأهل بيته؟ فقالت عليها السلام: ما رأيت إلا جميلاً أولئك قوم كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانة! وفي مجلس يزيد بن معاوية حيث قالت بكل شجاعة والسيّافون على رأسها: أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك وعليه كرامة، وإن

---

(١) المسلمون: جريدة يومية، عدد ٦٠٨، تاريخ ٢٢/ ٥/ ١٤١٧هـ.

ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك تضرب أصدريك[١] فرحاً، وتنفض فدوريك[٢] مرحاً، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي . . . إلى أن تقول: وحسبك بالله حاكماً وبمحمدﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك، وأمكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك لكن العيون عبرى، والصدور حرّى . . . فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض[٣] عنها عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك

---

(١) أصدريك: أي منكبيك.
(٢) فدوريك: المذوران جانبا الأليتين. ولا واحد لهما وقيل هما طرف كل شيء.
(٣) أي لا تغسل.

إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين[١].

وكآمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي التي أسمعت معاوية بن أبي سفيان في محاورتها معه كلاماً قارصاً، وجواباً لاذعاً، وذلك أنه لما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعث معاوية في طلب شيعته فكان في من طلب عمرو بن الحمق الخزاعي فراغ عنه، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم إن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمرو بن الحمق في بعض الجزيرة، فقتله وبعث برأسه إلى معاوية، وهو أول رأس طيف في الإسلام، فلما أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى آمنة في السجن وقال للحرسي: احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه إليّ، واطرح الرأس في حجرها ففعل هذا.

(فانظر إلى المرأة الثاكل التي قد أحاط بها الهم في السجن مدة سنتين من الزمان كيف كان موقفها؟) يقول التاريخ:

فارتاعت له ساعة (يعني هنيئة) ثم وضعت يدها على رأسها وقالت: واحزناه لصغره في دار هوان، وضيق مجلس سلطان،

---

(١) زينب الكبرى: للنقدي، ص٥١.

نفيتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية، ارجع به أيها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه، أيتهم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك، فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت، فأرسل إليها فأتته وعنده نفر فيهم (إياس بن حيسل) أخو (مالك بن حيسل) وكان في شدقيه نتوء عن فمه لعظم كان في لسانه وثقل إذا تكلم، فقال لها معاوية: آأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني به؟

قالت: نعم غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد، وإن الحق لمن وراء العباد وما بلغت شيئاً من جزائك، وإن الله بالنقمة من ورائك، فأعرض عنها معاوية.

فقال إياس: أقتلها يا أمير المؤمنين! فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها، فالتفتت إليه، فلما رأته ناتئ الشدقين ثقيل اللسان قالت: تباً لك، ويلك بين لحيتيك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس، إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

فضحك معاوية منه ضحك سخرية ثم قال لها وقد أعجب بقوة قلبها: لله درك اخرجي ثم لا أسمع بك في شيء من الشام

قالت: وأبي لأخرجن ثم لا تسمع بي في شيء من الشام فما الشام لي بحبيب ولا أعرج فيها على حميم، وما هي لي بوطن، ولا أحن فيها إلى سكن، ولقد عظم فيها دَيني، وما قرت فيها عيني، وما أنا فيها إليك بعائدة، ولا حيث كنت بحامدة، فأشار إليها ببنانه بعدما رأى أنه لو تكلم لأسمعته من قوارص لسانها، وقوارض بيانها ما لا يسعه سمعه ـ أن اخرجي ـ فخرجت وهي تقول: واعجبي لمعاوية تَلِف عني لسانه، ويشير إلى الخوارج ببنانه، أما والله ليعارضنه عمرو ـ تعني زوجها ـ بكلام مؤيد شديد أوجع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد[١].

وكذلك طوعة جارية الأشعث بن قيس تلك المرأة التي قامت بعمل عجز وجَبُنَ الآلاف من رجالات الكوفة أن يأتوا بمثله، ألا وهو إيواء مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام سفير الحسين بن علي عليه السلام إلى الكوفة حيث أعلن ابن زياد أن من آوى مسلم بن عقيل أو تستر عليه فقد برئت الذمة منه يعني يعرض نفسه للقتل والإعدام، وحين بقي مسلم بن عقيل وحيداً لا ناصر معه ولا معين بل ولا دليل يدله على الطريق، حيث تفرق عنه ما يقرب من ثمانية عشر ألفاً من رجالات الكوفة الذين بايعوه، حتى ساقته يد الأقدار إلى باب بيت هذه المرأة المؤمنة

(١) أعيان النساء: للحكيمي، ص٢، نساء حول أهل البيت عليهم السلام.

البطلة، وحين رأته واقفاً على باب بيتها يكفكف دموعه، ارتابت في أمره فسألته عن علة وقوفه فقال، بأنه عطشان فأخرجت إليه الماء فشرب قليلاً منه، ثم بكى ولم ينصرف عن باب منزلها، فقالت له: ألم تشرب الماء؟ اذهب إلى أهلك وعشيرتك فإني لا أُحِلّ لك البقاء على باب داري فقال: أمة الله أنا لا أهل لي في هذا المصر ولا عشيرة فقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل وحينئذ لا تسأل عن حالها صاحت: فداك أبي وأمي ونفسي أدخل على الرحب والسعة، فآوته في دارها، وكانت حريصة على كتمان أمره غير أن ولدها (معقل) كان من عيون ابن زياد فمشى بخبره إليه فجاءته الخيول والرجال إلى بيت تلك المرأة فخرج مسلم يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح وأخذوه مكتفاً إلى ابن زياد فأمر بضرب عنقه وإلقاء جثمانه من أعلى سطح الإمارة وسحب جثمانه في سوق الأغنام، وأمر بإلقاء القبض على تلك المرأة المؤمنة المضحية.

وهكذا تكون المرأة بالعلم والبصيرة في الدين، والعمل الصلاح والتقوى خيراً من آلاف الرجال.

ثالثاً ـ الإرادة الصلبة:

في الحديث الشريف «ما دام امرؤ شيئاً إلا ناله أو دونه» قد يكون عند الإنسان وعي وبصيرة في دينه، وثقته بنفسه وبربه،

لكن لا تكون عنده إرادة وعزيمة لما يريد الوصول إليه، فحينئذ لا يحقق هدفه.

والحديث الشريف الذي ذكرناه قبل قليل يكشف لنا عن حقيقة مهمة وهي أنه عندما يريد الإنسان تحقيق شيء ما ويسعى في سبيل ذلك فإن سعيه يكلل بالتوفيق والتسديد فيصل إلى ما أراد أو قريباً منه . . .

والمرأة إذا ما أرادت أن تكون سباقة في مجالات الخير تستطيع بتلك الإرادة تحقيق ذلك، حتى لو عاشت في ظروف سيئة وصعبة فها هي آسية بنت مزاحم امرأة فرعون الطاغية المستبد الذي ادعى الربوبية ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[1] وخضع له مئات الآلاف من الرجال والنساء خوفاً من بطشه، أو رغبة في عطائه، استطاعت وحدها أن تتمرد على طغيانه وجبروته، مع أنها كانت تعيش تحت هيمنته، وسلطانه وفي وسط لا يحسد عليه لكنها الإرادة الإيمانية، التي جعلتها تؤمن بالله وحده لا شريك له وتصدق برسالة نبيه موسى عليه السلام وتتخلى عن موقعها كملكة لمصر وعن مظاهر السلطة والترف والرخاء، وتتحمل فوق ذلك أشكال التعذيب والتنكيل حتى فارقت الحياة شهيدة محتسبة.

إنها امرأة ولكن خير من آلاف الرجال الخاضعين للاستبداد

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

الفرعوني لذلك جعلها الله تعالى مضرب مثل لكل المؤمنين رجالاً ونساءً.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

وهكذا تكون المرأة المؤمنة التي تستطيع بإرادتها ووعيها وإيمانها وعملها أن تغير كل عادة سيئة في مجتمعها وفي وسطها النسوي، وتدفع الثمن غالياً من راحتها، وسمعتها، ومتاعها، محتسبة ذلك عند الله تكون خيراً من آلاف الرجال المستسلمين للواقع الفاسد لا يعرفون شيئاً سوى لغة الأكل والشرب والنوم واللهو كالبهيمة المربوطة هَمُّها علفها أو المرسلة شُغلها تَقَمُّمُهَا.

رابعاً ـ التوكل على الله:

التوكل يعني: إيكال الأمر إلى الله سبحانه مع الأخذ بالأسباب.

وهو من أفضل المقامات التي يصل إليها الإنسان، ولا يصل الإنسان إلى هذا المقام إلا بعد جد وجهد، ولذا فإن كثيراً من

---
(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

الناس ـ بل أكثرهم ـ لا يرون للتوكل معنى، أو لا يتمكنون أن يصلوا إلى هذا المقام.

ومعنى إيكال الأمر إليه سبحانه: أن لا يحرص الإنسان على الإتيان بأكثر من الأسباب الظاهرية، ولا يغتم لما فاته، ولا يحزن إذا لم يصل إلى النتيجة مثلاً: إذا عقل الإنسان رجل بعيره في المحل الآمن من السبع أو اللص ووكل الأمر بعد ذلك إليه سبحانه كان معنى التوكل أنه يهدأ باله، فلا يفكر في أمر بعيره هل يصيبه شيء أم لا؟.

أما من لا يعقل بعيره ويقول: (توكلت على الله) فهذا خلاف ميزان التوكل إذ التوكل في الأمر الزائد على الأسباب، ولذا لما رأى الرسولﷺ بعيراً بغير عقال، سأل صاحبه عن السبب؟ وحيث أجاب الأعرابي: بأنه توكل على الله! زجره الرسولﷺ وقال: «اعقل وتوكل».

كما أن من يعقل لكنه لا يرى لله سبحانه دخلاً في حفظه، أو يرى أن له دخلاً لكنه لا يستقر قلبه، أو إذا أصابه شيء حزن وجزع، فهو خلاف التوكل[1].

من هنا وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

(١) الفضيلة الإسلامية: ص٤٣٢.

﴿حَسْبُهُۥٓ﴾[١] أي يكفيه وقول أمير المؤمنينعليه السلام في وصيته لولده الحسنعليه السلام : «وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز»[٢] يتبين لنا أهمية التوكل على الله في حياة الإنسان المؤمن رجلاً كان أو امرأة وعليه فإذا أرادت المرأة التفوق في ميادين السباق على الرجال لا بد لها من التوكل على الله، وإلجاء أمورها كلها إليه سبحانه، بعد أخذها بالأسباب أي بعد السعي والجد والاجتهاد للحصول على ملكة التقوى وهذا لا يتأتى إلا بعد طول مرابطة وترويض لهذه النفس الأمارة بالسوء ومنعها عن الكثير من المباحثات حتى لا تطمع في المحظورات، وكذلك الحصول على العلم النافع الذي به يُطاع الله ويُعبد ونعني به البصيرة النافذة كما قال تعالى: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[٣] ومن كان ذا بصيرة لا يرتطم في الشبهات، ولا في المحرمات.

وكذلك العمل، فإن هذا الإيمان لا بد أن يرافقه العمل كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[٤].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٢) نهج البلاغة: الكتاب، ص٣١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٤) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

وهنا الامتحان الصعب، يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١] فبحجم العمل وحسنه وكيفيته وقيمته عند الله تعالى تكون قيمة الإنسان عند الله عز وجل ذكراً كان أم أنثى.

وأخيراً تستطيع المرأة المؤمنة بالتقوى والعلم والعمل، وبعدم الاستسلام للواقع الفاسد ونظرته الدونية للمرأة، وبالثقة بالنفس والإرادة الإيمانية وبالتوكل على الله تعالى أن تكون خيراً من آلاف الرجال الذين انشغلوا بزخارف الدنيا وزينتها ولهوها ولعبها وتكون في النتيجة سائرة على خطا السيدة العظيمة أم البنين عليها السلام، وداخلة مدخلها.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

الفصل الثاني

نسبها وحسبها

أم البنين: هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة أخي لبيد الشاعر ابن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابية[١].

وأمها: ثمامة بنت السهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب[٢].

وآباؤها وأجدادها: هم فرسان العرب في الجاهلية ولهم الذكريات المجيدة والمواقف البطولية في المغازي، والأيادي البيضاء في الكرم والجود، حتى أذعن لهم الملوك، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله: «ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس»[٣].

وفي آبائها يقول لبيد النعمان بن المنذر ملك الحيرة:

يا واهب الخير الجزيل من سعة نحن بنو أم البنين الأربعة

---

(١) أعلام النساء: للأعلمي، ج١، ص٢٤١؛ أعيان النساء: للحكيمي، ص٤٨.
(٢) أعيان النساء: للحكيمي، عن أبصار العيون للسماوي، ص٥٠.
(٣) الأعيان: للسيد الأمين، ج٧، ص٤٢٩.

ونحن خير عامر بن صعصعة المطعمون الجفنة المدعدعة
الضاربون الهام تحت الحيصعة إليك جاوزنا بلاداً مسبعة

فلا ينكر عليه أحد . . .

وأم البنين المقصودة في هذه الأبيات هي (ابنة عمر بن عامر) وقد ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب (أبي البراء ملاعب الأسنة) ويأتي ذكره، ومن آباء السيدة أم البنين فاطمة بنت حزام (عروة الرحال) صاحب الردافة والرحلة إلى الملوك وهو الذي أجار حمولة النعمان على أهل الشيخ والقيصوم من أهل نجد وتهامة، ومنهم عامر بن الطفيل وهو أخو (عمرة) الجدة الأولى لأم البنين وكان من ألمع فرسان العرب في شدة بأسه، بلغ من عظيم شهرته أن قيصراً إذا قدم عليه وافد من العرب فإن كان بينه وبين عامر نسب عظم عنده قربه وبجّله وأكرمه، وإلا أعرض عنه، وكان عامر المذكور إلى جانب شجاعته وفروسيته جواداً وشاعراً له مناد ينادي بعكاظ هل من راجل فأحمله، أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه[١] ومن شعره قوله:

وكم مظهر بغض لنا ودّ أننا
إذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدى

---

(١) بطل العلقمي: ج١، ص١٦٣.

مطاعيم في اللأوا مطاعين في الوغى
شمائلنا تتلى وأيماننا تندى

ومنهم أبو البراء (عامر بن مالك) وهو الجد الثاني للسيدة أم البنين وكان من فرسان العرب وشجعانهم ويقال له ملاعب الأسنة لشجاعته وفروسيته، وجاء في كتاب الكنى والألقاب للشيخ القمي: إن عامر بن مالك العامري الكلابي الملقب بملاعب الأسنة هو الذي كان به مرض الاستسقاء فبعث إلى رسول الله ﷺ لبيد بن ربيعة مع هدايا فلم يقبلها لأنه كان لا يقبل هدية مشرك ثم أخذ ﷺ جثوة[1] من الأرض فتفل عليها وقال للبيد: دفعها بماء ثم اسقها إياه، فأخذها متعجباً يرى أنه قد استهزأ به فأتاه فشربها فأطلق من مرضه.

وكان أبو البراء هذا مع شجاعته وفروسيته جواداً وشاعراً ومن شعره:

دفعتكم عني وما دفع راحة بشيء إذا لم تستعن بالأنامل
يضعضعني حلمي وكثرة جهلكم عليّ وإني لا أصول بجاهل[2]

ومن الذين برزوا في الشجاعة والكرم والأدب والخصال

(١) الجثوة: الحجارة.
(٢) البيان والتبيين: للجاحظ، ج٢، ص٢٠١.

الحميدة من قوم أم البنين ربيعة المقتر فارس ذي العلق والد لبيد الشاعر المشهور كان من سادات بني كلاب جوداً وشجاعة، وقد قاد بني عامر في كثير من الحروب[١]، ومعهم الطفيل أبو عامر، والد (عمرة) الجدة الأولى لأم البنين وكان من أشهر شجعان العرب، وفرسانها وله أشقاء من خيرة فرسان العرب ومن أعلام قبيلة هذه السيدة الجليلة الذين نالوا ما نالوه من الشرف والمعالي في ظل الرسولﷺ ودينه القويم، الضحاك بن سفيان الكلابي فقد كان سيافاً لرسول اللهﷺ والأمير من قبله على الكلابيين[٢] إلى غير ذلك من هؤلاء الأبطال من رهط أم البنين الكلابيين.

ولم تكن النساء الكلابيات بأقل حظاً في ذلك فمن نسائهم البارزات زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة شاعرة من شاعرات العرب المجيدات، ومنهن زهراء الكلابية من شاعرات العرب في الجاهلية ومن شعرها:

تأوهت من ذكر ابن عمي ودونه   نقا هائل بعد الثرى وصفيح

وكنت أنام الليل من ثقتي به   وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح

ومنهن فاطمة بنت الضحاك الكلابي وهي إحدى أزواج النبيﷺ ولرسول اللهﷺ من أزواجه كلابيتان غير هذه تعرف

---

(١) معجم الشعراء: للمرزباني، ص٣٧٥.

(٢) بطل العلقمي: ج١.

إحداهن بالعالية الكلابية وهي بنت ظبيان بن عمر بن عوف بن عبد بن أبي كلاب، ذكرهما الأستاذ عمر أبو النصر في كتابه الشجرة المحمدية.

ومنهن أم خلف الكلابية، شاعرة مجيدة ومن شعرها:

وصار المال في أيدي رجالٍ إذا ملكوا أذاقوا الناس هونا

ومنهن أم الأسود الكلابية ذكرها ابن طيفور في بلاغات النساء شاعرة فاضلة، أساء لها زوجها فاحتملت الأذى وصبرت ولم يأخذها انفعالها النفسي إلى التهور والانتقام وكان المانع لها خوف النار تقول في شعرها:

فوالله لولا النار أو أن يرى أبي له قودة أو أن ينالني عارها
لقد نازعت كفي المهند ضربة وكان عليه خيلها وشنارها[1]

ومنهن أم موسى الكلابية شاعرة بطلة ذكرها صاحب معجم البلدان تزوجت فنقلت لـ(الحجر) من اليمامة، فأتبعتها الغربة وضاقت من ذلك ذرعاً فقالت:

قد كنت أكره (حجراً) أن ألمّ بها أو أن أعيش بأرض ذات حيطان

إلى قولها:

(١) اعلام النساء: لعمر كحالة، ج٤، ص١٠٨.

لولا مخافة ربي أن يعاقبني　　لقد دعوت على الشيخ ابن حيان

إلى غير ذلك من النساء وقد نالت الشرف العظيم منهن أم البنين فاطمة بنت حزام باقترانها بأشرف من وطئ الثرى بعد رسول الله ﷺ المخصوص بالطاهرة التقية ابنة المختار، المولود في البيت ذي الأستار، المزوّج في السماء بالبرّة الطاهرة، الرضية المرضية، والدة الأئمة الأطهار، وصيي رسول الله ﷺ وابن عمه وأخيه وخليفته من بعده، والبائت على فراشه، مظهر العجائب، وصاحب المناقب، أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب، ففاضت عليها بركات هذا الإمام وقامت بمسؤوليتها خير قيام فنالت بذلك السؤدد والثناء في كل مقام.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١].

بشائر الولادة

يروى أن حزام بن خالد بن ربيعة كان في سفر له مع جماعة من بني كلاب، نائم في ليلة من الليالي، فرأى كأنه جالس في أرض خصبة، وقد انعزل في ناحية عن جماعته وبيده درة يقلبها وهو متعجب من حسنها ورونقها وإذا به يرى رجلاً قد أقبل إليه من صدر البرية، على فرس له فلما وصل إليه سلم فرد عليه السلام ثم

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

قال له الرجل بكم تبيع هذه الدرة؟ وقد رآها في يده فقال له حزام: إني لم أعرف قيمتها حتى أقول لك ولكن أنت بكم تشتريها؟ فقال له الرجل وأنا كذلك لا أعرف ولكن إحداهما إلى أحد الأمراء وأنا الضامن لك بشيء هو أغلى من الدراهم والدنانير، قال ما هو قال أضمن لك بالحظوة عنده والزلفى والشرف والسؤدد أبد الآبدين، قال حزام أتضمن لي بذلك؟ قال نعم قال: وتكون أنت الواسطة في ذلك!! قال: وأكون أنا الواسطة أعطني إياها فأعطاه إياها فلما انتبه حزام من نومه قص رؤياه على جماعته وطلب تأويلها فقال له أحدهم: إن صدقت رؤياك فإنك ترزق بنتاً ويخطبها منك أحد العظماء وتنال عنده بسببها القربى والشرف والسؤدد.

فلما رجع من سفره، وكانت زوجته ثمامة بنت سهيل حاملاً بفاطمة أم البنين وصادف عند قدوم زوجها من سفره كانت قد وضعت بها فبشروه بذلك فتهلل وجهه فرحاً بذلك، وقال في نفسه قد صدقت الرؤيا، فقيل له ما نسميها؟ فقال لهم سموها: (فاطمة) وكنوها: (أم البنين).

زمان ولادتها

مما يؤسف له أن التاريخ قد تنكر لهذه المرأة العظيمة ففي الوقت الذي يحصي لنا صغائر الأمور وتوافهها من مجالس اللهو

والطرب في دولة بني أمية وبني العباس، حتى لون قلادة ذلك القرد، وشسع فعل تلك المومسة، ومُواء قطٍّ في ذلك البلاط، وغير ذلك مما لا يُذكر حياءً أو ليس أهلاً أن يذكر نجد حياة هذه المرأة الجليلة مطموسة مغمورة، فأين أيام هذه المرأة المعجزة التي تكللت بالقيم والمثل العليا، أين مواقفها الكريمة؟ أين مواعظها؟ أين علمها؟ أين بطولاتها؟ أين جهادها؟ أين صبرها؟ أين أيامها التي قضتها في بيت الإمامة؟ أين إحياؤها الليل بالعبادة والمناجاة؟ وأين . . . . وأين؟.

يصل الأمر إلى أن لا نجد في صفحات التاريخ ما يثبت حتى يوم ولادتها.

إنه لأمر مؤلم حقاً، ولكن لئن طمس الظالمون ذكرها عقاباً وتحاملاً عليها لولائها لأهل بيت العصمة عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقد قيض الله لها من يذوب في حبها، وولائها والذود عنها، والبحث عن مناقبها وفضائلها تحت كل حجر ومدر. ومهما يكن من أمر فإنه يمكننا أن نعرف زمان ولادة أم البنين عليها السلام بلحاظ زمان ولادة ولدها الأكبر قمر العشيرة أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام فقد كانت ولادته على ما أثبتها المؤرخون في السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية.

وكان عمره الشريف يوم شهادته في كربلاء (٣٤) سنة كما عن أعلام الورى للطبرسي وهو المشهور وإن ذكر بعضهم أن عمره يوم عاشوراء كان (٣٨)[1] سنة مع العلم أن تاريخ واقعة الطف سنة ٦١هـ.

كذلك بالاعتماد على ما يظهر من كلام عقيل بن أبي طالب لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام : «أين أنت من فاطمة بنت حزام»، وذلك عقيب قول الإمام لأخيه عقيل «ابغني امرأة ولدتها الفحول من العرب» حيث يظهر أنها كانت في سن النضج الجنسي وبلوغ الرشد الذي يجعلها صالحة لأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام أو غيره، فلو كانت دون الخامسة عشرة من عمرها مثلاً فإنه يبعد أن يذكرها (عقيل) وهو العالم في الأنساب والأعراف من غيره بمن هي أصلح لتكون زوجة لأخيه عليه السلام من حيث العمر والكفاءة كما لا يمكن أن يكون زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام بعد السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية على كل الاحتمالات لأن ولادة ولدها العباس عليه السلام كانت سنة ٢٦هـ على القول المشهور وسنة ٢٣هـ بناء على القول الثاني وهو أن عمره عليه السلام يوم شهادته ٣٨ سنة.

كما أن نضوج الفتاة الجنسي وبلوغها سن الرشد يختلف من

---

(١) نساء حول أهل البيت: ص١١٦.

زمان إلى آخر وطبيعة المجتمع والبيئة التي تعيش فيهما الفتاة لهما الأثر في نضوجها الجنسي وبلوغها سن الرشد، وبحسب الدراسة لطبيعة مجتمع وأسرة وبيئة السيدة أم البنين عليها السلام وموقعها الاجتماعي الذي يجعل من المستبعد أن تظل إلى سن الثالثة أو الرابعة والعشرين بلا زواج من حيث هي، وإلى سن الخامسة والعشرين بلا زواج من حيث عمر ولدها العباس عليه السلام يوم شهادته (٣٤) سنة نرجح على نحو التقريب أن يكون عمرها يوم زواجها بعلي عليه السلام كان بين (١٧ ـ ٢١) سنة وحسب العادة أن يكون الولد البكر بعد الزواج بحدود السنة الواحدة ما لم تكن هناك عوارض فيكون عمرها يوم ولادة ولدها العباس عليه السلام بين (١٨ ـ ٢٢) سنة وبلحاظ ما ذكرنا من زمان ولادة العباس عليه السلام سنة ٢٦هـ وأن عمره (٣٤) سنة يوم شهادته سنة ٦١هـ نستنتج أن ولادتها عليها السلام تقع بين (٥ ـ ٩هـ) تقريباً نعم هناك من يقول: بأن عمر السيدة أم البنين يوم كربلاء أي في زمان واقعة الطف كان قرابة خمس وخمسين سنة[١] على أكثر التقارير وبهذا القول يكون زمان ولادتها في السنة السادسة من الهجرة الشريفة.

كما ذكر السيد محمد الأشيقر في كتابه (العباس رجل العقيدة والجهاد) قائلاً:

---

(١) نساء حول أهل البيت عليهم السلام: ص١١٦.

لقد ولدت فاطمة أم البنين عام (٥هـ) في أصح الأقوال أي أنها تصغر بسنة واحدة عن عمر الحسين عليه السلام لكنه لم يشر إلى مصدر قوله هذا، وهل له مستند أم لا، وإن كان يظهر العدم خصوصاً مع تعبيره بكلمة (في حدود). والأمر سهل.

نشأتها

تربت السيدة أم البنين في أسرة عريقة شريفة من أجلّ الأسر منزلة وأعلاها شرفاً وأجمعها للمآثر الكريمة والخصال الحميدة التي تفتخر بها سادات العرب، كالجود والكرم والشجاعة والفصاحة والحمية والإباء، ومكارم الأخلاق ومحامد الخصال من العفة والطهارة والنبل والكرم وأمثالها، ونشأت على الإيمان والزهد والتقوى، فكانت تقية متورعة، عفيفة النفس، لينة الجانب فبوركت لها تلك النشأة وهنيئاً لها تلك التربية.

مكانتها ومنزلتها

يقول الشهيد الأول الفقيه الورع محمد بن مكي العاملي صاحب (اللمعة الدمشقية) وهو كتاب فقهي مشهور يُدَرّس في الحوزات العلمية منذ زمن بعيد وإلى يوم الناس هذا:

«كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحق أهل

البيت عليهم السلام مخلصة في ولائهم، ممحضة في مودتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحل الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيها بأولادها الأربعة كما كانت تعزيها أيام العيد»[١].

ويقول السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة):

«شاعرة، فصيحة، وهي من بيت عريق في العروبة والشجاعة»[٢].

ويقول النقدي في كتابه (زينب الكبرى) عند ذكره أم البنين:

«كانت من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام كما كانت فصيحة بليغة، لسنة ورعة، ذات تقى وزهد وعبادة ولإكبارها وجلالتها زارتها زينب الكبرى بعد منصرفها من واقعة الطف»[٣].

أقول: إن زيارة حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وشريكة الإمام الحسين عليه السلام في نهضته زينب الكبرى عليها السلام لأم البنين، ومواساتها لها بمصابها الأليم بفقد السادة الطيبين من أبنائها، مما

(١) العباس: للمقرم، ص٧٢، نقلاً عن مجموعة الشهيد الأول.
(٢) الأعيان: ج٨، ص٣٨٩.
(٣) زينب الكبرى: ص٨٨.

يدل على أهمية أم البنين وسمو مكانتها عند أهل البيت عليهم السلام.

كما أن مواقفها الشريفة، وحسن تبعلها لسيد الأوصياء عليه السلام وصبرها على فراق كل أولادها وفيهم كبش الكتيبة قمر بني هاشم، وتفانيها في محبة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام واطلاعها على غامض القضاء في موارد عديدة كما ستعرف كل ذلك كاشف عن عظيم منزلتها وسمو مكانتها.

بلغت بحيدر والبنين ذُرى العلى	أم البنين وذاك خير مثال
إيمانها الراقي وحُسن عقيدة	قد أوصلاها للمقام العالي
آباؤها والأمهات زكوا كما	ذا كان في الأعمام والأخوال[1]

زواجها

تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك بعد شهادة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ولكن هل كانت هي الزوجة الثانية بعد الزهراء عليها السلام أم أنه تزوج بعد الزهراء بأمامة بنت أبي العاص ابنة أختها زينب كما ورد في وصيتها لأنها تكون للحسن والحسين عليهما السلام مثلها أو بخولة بنت جعفر بن قيس الحنفية والدة

(١) هذه الأبيات للسيد مهدي السويج الخطيب، (راجع أم البنين سيدة نساء العرب) ص٤٨.

محمد المعروف بابن الحنفية، أو بهما على نحو التعاقب ثم تزوج بعدهما أو بعد أمامة بالسيدة أم البنين عليها السلام.

اختلف المؤرخون في ذلك والأقرب أن المرأة الثانية التي تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام بعد الصديقة الزهراء عليها السلام هي (أمامة) ثم تزوج بعد ذلك بفاطمة بنت حزام الكلابية المعروفة بـ(أم) البنين سواء بعد (خولة) لتكون هي الزوجة الرابعة أو قبلها لتكون هي الزوجة الثالثة، وذلك لأن العباس عليه السلام وهو ولدها البكر ولد عام ٢٦ هجرية وبعيد جداً أن يكون الإمام عليه السلام قد تزوجها بعد شهادة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في السنة الحادية عشرة وتبقى السيدة أم البنين عليها السلام بلا إنجاب مدة خمسة عشر عاماً.

قصة الزواج

جاء في الأعيان للسيد الأمين عن عمدة الطالب أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل وكان نسّابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم «ابغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس»[1].

(١) أعيان الشيعة: ج٧، ص٤٢٩؛ وج٨، ص٣٨٩، ومراد أمير المؤمنين عليه السلام من=

وفي أعيان النساء للحكيمي قال عقيل: يا أخي ما تصنع بها؟ قال: أرجو أن أتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً ينصر ولدي الحسين عليه السلام بطف كربلاء فأشار عليه بأن يتزوج أم البنين، وإنما أشار، عقيل على أمير المؤمنين عليه السلام أن يتزوج بها لأنها من بيت لا يوجد في العرب أشجع ولا أفرس من آبائها فأمر عندئذٍ أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً أن يخطبها من أبيها فجاء عقيل إلى أبيها (حزام) وقال له: جئتك بشرف الدنيا والآخرة قال: وما ذلك يا عقيل؟ قال: جئتك خاطباً ابنتك لأخي علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أحبّ مصاهرتك لعلوّ نسبك وشرفك فقال: لا ينال هذا إلا ذو حظ عظيم ولكن يا عقيل أمهلني حتى أشاور أمها فبقي عقيل ينتظر الجواب ودخل (حزام) على زوجته فسمع ابنته تقص رؤيا على أمها قد رأتها في المنام.

رؤيا أم البنين عليها السلام

يروى أن فاطمة قالت لأمها إني رأيت في منامي كأني جالسة في روضة ذات أشجار مثمرة، وأنهار جارية، وكانت السماء

= البناء بامرأة ولدتها الفحول من العرب وشجعانها هو أن تلد ولداً شجاعاً كما جاء في كتاب سر السلسلة العلوية للبخاري، ذلك لأن الآباء لا بد أن تعرف في البنين في أوصافها فإن كان المولود ذكراً بانت تلك الخصال فيه وإن كانت أنثى بانت في أولادها. (أسرار الشهادة: ج٣، ص١٤٤؛ والعباس: للمقرّم، ص٨١).

صافية، والقمر مشرقاً، والنجوم ساطعة، وأنا أفكر في عظمة خلق الله من سماء مرفوعة بغير عمد وقمر منير وكواكب زاهرة، فبينما كنت في هذا التفكير ونحوه وإذا بي أرى كأن القمر قد انقضى من كبد السماء ووقع في حجري وهو يتلألأ نوراً يغشي الأبصار، فعجبت من ذلك وإذا بثلاثة نجوم زواهر قد وقعوا أيضاً في حجري وقد أغشى نورهم بصري فتحيرت في أمري مما رأيت وإذا بهاتف قد هتف بي أسمع منه الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول:

بشراك فاطمة بالسادة الغررِ ثلاثةِ أنجمِ والزاهرِ القمرِ
أبوهم سيدٌ في الخلق قاطبةً بعد الرسول كذا قد جاء في الخبر

فلما سمعت ذلك ذهلت وانتبهت فزعة مرعوبة، هذه رؤياي يا أماه فما تأويلها؟

فقالت لها أمها يا بنية إن صدقت رؤياك فإنك تتزوجين برجل جليل القدر رفيع الشأن عظيم المنزلة عند الله، مطاع في عشيرته، وترزقين منه أربعة أولاد يكون أولهم وجهه كأنه القمر وثلاثة كالنجوم الزواهر.

فلما سمع حزام ذلك أقبل عليهما وهو مبتسم ويقول يا بنية لقد صدقت رؤياك!! فقالت له أمها: وكيف علمت ذلك؟ قال:

هذا عقيل بن أبي طالب جاء يخطب ابنتك قالت: لمن؟ قال: لفلال الكتائب، ومظهر العجائب وسهم الله الصائب وفارس المشاق والمغارب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

عندها ذهب حزام إلى عقيل وهو مستبشر فقال له عقيل: ما وراءك؟ قال: كل الخير إن شاء الله قد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام فقال عقيل: لا تقل خادمة بل قل زوجة.

وعن بعضهم أنها قالت لأمها وهي تقص رؤياها: يا أماه «ففرحت فرحاً عظيماً، ثم بعد حين لم أجد القمر ولا الكواكب فاشتد حزني وتضاعفت حسرتي»، وهذا ما لم يفسر لها حتى مرت الأيام والليالي فكشفت لها عن تفسير ما بقي من رؤياها وإذا بها ثكلى تردد بقلب مفجوع:

كانت بنون لي أدعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين

حديث الزواج يصل إلى كربلاء

جاء في التاريخ أنه قبل أن تبدأ المعركة بين الحسين عليه السلام وأصحابه من جهة وبين جيش عمر بن سعد في كربلاء من جهة أخرى، وضمن استعداد كل جهة للقتال أو بعد ابتدائها بقليل.

أتى زهير بن القين إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل فقال له: يا أخي ناولني هذه الراية فقال له عبد الله: أو فيّ قصور عن حملها؟ قال: لا ولكن لي بها حاجة قال فدفعها إليه وأخذها زهير وأتى تجاه العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام أريد أن أحدثك بحديث وعيته! فقال: حدّث فقال: حدّث فقد حلا وقت الحديث.

حدّث ولا حرج عليك فإنما   تروي لنا متواتر الإسناد

فقال له اعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يتزوج بأمك أم البنين بعث لأخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال عليه السلام: يا أخي أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا وأشار إلى الحسين عليه السلام ليواسيه في طف كربلاء وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن أخواتك قال فارتعد العباس وتمطى في ركابه حتى قطعه وقال: يا زهير تشجعني في مثل هذا اليوم والله لأرينك شيئاً ما رأيته قط . . . الخ[1].

ولما رجع العباس من مكالمته مع شمر حين عرض عليه الكتاب الذي فيه أمان له ولإخوته استقبلته الحوراء زينب وقد

(١) أسرار الشهادة: ص٢٣٤.

سمعت كلامه مع الشمر قالت له: أخي أريد أن أحدثك بحديث قال حدثني يا زينب لقد حلا وقت الحديث.

قالت: اعلم يا ابن والدي لما ماتت أمنا فاطمة قال أبي لأخيه عقيل أريد منك أن تختار لي امرأة من ذوي البيوت والشجاعة حتى أصيب منها ولداً ينصر ولدي الحسين بطف كربلاء وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر يا أبا الفضل.

فلما سمع العباس كلامها تمطى في ركابي سرجه حتى قطعهما وقال لها في مثل هذا اليوم تشجعيني وأنا ابن أمير المؤمنين فلما سمعت كلامه سرت سروراً عظيماً[1].

---

(١) ثمرات الأعواد للهاشمي: ج١، ص١٠٤.

الفصل الثالث

في بيت علي

مما تميزت به أم البنين عليها السلام هو شدة ولائها لأهل البيت عليهم السلام فكانت تتمنى أن تخدمهم بأجفان عيونها، وتبذل في سبيلهم أعز ما عندها، حتى وهي لم تدخل رياض البيت العلوي، أما بعد دخولها البيت العلوي فقد حولت تلك الأماني إلى واقع أدهش العقول وحيّر الألباب، وبذلك ارتقت ذروة المجد، وكانت في الخالدات ومع أن التاريخ لم ينصف لنا هذه المرأة المعجزة الخالدة، ولم يكتب لنا شيئاً يستحق أن يذكر من تلك المواقف الشريفة التي أثبتت من خلالها شدة إيمانها وولائها لأهل بيت العصمة عليهم السلام وذوبانها في حبهم والذود عنهم، غير أننا نكتشف من خلال بعض المواقف التي وجدناها ضائعة في بطون الكتب، وعلى هوامش التاريخ أن هناك المئات من أمثال هذه المواقف الكريمة، والعطر لا يُعرف بالوصف بل يتضوع فيدل على طيبه ورائحته، فمن طيب هذه المواقف نستدل على وجود أمثالها خصوصاً في حياة ما تكللت ولا اتصفت ولا تميزت إلا بها.

ومن تلك المواقف ما يلي:

الموقف الأول ـ إيثارها علياً عليه السلام على الدنيا وزينتها:

منذ اللحظات الأولى التي جاءها فيها عقيل يخطبها لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول لأبيها: جئتك بشرف الدنيا والآخرة أدركت جيداً أن زواجها من علي عليه السلام يعني طلاقها للدنيا، وطلاقها للراحة واستعدادها للبلاء، بل لشتى أنواع المصائب والمحن، لأنها امرأة واعية وناضجة وتعرف جيداً سيرة من جاء يطلب يدها للزواج منها، فحياته مع الزهراء عليها السلام، وإيثاره وصبره، وعناؤه حتى أنه يبقى مع الزهراء عليها السلام أياماً لا يجدان ما يقتاتان به غير خاف على أحد، ولم تكن ناسية لكلام الزهراء عليها السلام وهي تصف علياً في خطبتها (المعجزة) الخالدة:

«مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار».

وفي كلامها لنساء المهاجرين والأنصار وهي تصف علياً عليه السلام:

«ولم يكن يحلى[1] من الغنى بطائل[2]، ولا يحظى[3] من

(١) يحلى: يعني يصيب ويستفيد.
(٢) البطائل: كثير الفائدة.
(٣) يحظى: يظفر والنائل العطاء.

الدنيا بنائل غير ري الناهل[١]، وشبعة الكافل[٢]، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب»[٣].

كما أنها تعرف مستوى بيت علي عليه السلام ذلك البيت المتواضع المصنوع من سعف النخل، ولم تكن في غفلة أو منأى عما حلّ به من المحن والمصائب خصوصاً بعد رحيل سيد الأنام الرسول صلى الله عليه وآله، فموافقتها للزواج من علي عليه السلام تعني أن ترضى بحياة الزهد والتقشف والهجران لمختلف مباهج الحياة الدنيا وزينتها، واستعدادها للعناء، واللأواء، ومصائب الأعداء، فهي ستكون زوجة لرجل أعداؤه ومناوئوه في كل حدب وصوب، قد أعدوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلاً، ولكل ليل مصباحاً، ولكل باب مفتاحاً.

لكنها تدرك جيداً في نفس الوقت أن اقترانها بعلي عليه السلام يعني سعادتها الأبدية والفوز المحقق بدار الخلود، ذلك لأنها تخدم وتطيع وتتبع أوامر ومواعظ سيد الأوصياء وإمام الأتقياء عليه السلام ومن يأخذ بيدها حتماً إذا ما أحسنت تبعلها له وسارت على نهجه إلى جنات النعيم.

---

(١) الناهل: العطشان.

(٢) الكافل هنا: المحتاج إلى الطعام.

(٣) راجع أعلام النساء: لعمر كحالة، ج٤، ص١٢٣.

فالمرأة هنا أيّ امرأة تقف بين أمرين أحلاهما مر:

١ ـ بين رغبتها في الهدوء، والحياة الدنيوية الهانئة وابتعادها عن المشاكل والمتاعب خصوصاً فيما يرتبط بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والعشرة مع من تخالط من أبناء جنسها خصوصاً عندما تنظر إلى قريناتها يتنعمن بالمسكن الجميل، والفراش الوتير، والعيش الرغيد، والمال الكثير وهي لا تملك بل ربما تعرضت إلى السخرية والاستهزاء والتشهير والتعيير ذلك لأن قيم الحياة ومفاهيمها قد تبدلت فحولت من المعروف منكراً ومن المنكر معروفاً، ومن الحق باطلاً، ومن الباطل حقاً.

٢ ـ وبين أن تفوز بشرف الاقتران بزوج ينقلها حتماً باتباعها له إلى سعادة الآخرة، وجنة عرضها السماوات والأرض، وهذا هو الامتحان الصعب، الذي تتعرض له المرأة على مر التاريخ وإن تغيرت صور هذا الامتحان وأشكاله ولهذا نجد أن زوجات الرسل والأئمة والأولياء الصالحين والعلماء يتعرضن إلى ضغوط نفسية واجتماعية ومعيشية مختلفة، فالبعض منهن تتجاوز هذه الضغوط وتتحداها وتنتصر عليها وهذا دليل وعي وإدراك وبعضهن تفشل أمام الامتحان، وهذا كاشف عن الجهل وقلة الوعي والخلود لهذه الدنيا الفانية من هنا نجد الرسول ﷺ يصارح زوجاته منذ بداية العلاقة بينه وبينهن بين السمو وإيثار الآخرة

وبين الانحدار إلى دركات حب الدنيا وعبارة اللذة والشهوة فيقول: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾[1].

فمن الضغوط التي تتعرض لها زوجة النبي أو الإمام أو العالم ما يمارسه في حياته الشخصية من أرقى درجات الكمال الأخلاقي من الزهد والقناعة والإنفاق وكل ذلك ينعكس أولاً في بيته وحياته، ومع زوجاته إذ لا يعقل أن يكون آمراً للناس بتلك المثل ومخالفاً لها في منزله، وهنا تتعرض الزوجة تلك للامتحان فإمّا أن تستجيب لنمط تلك الحياة طائعة وترتقي بنفسها إلى ذلك المستوى العالي لزوجها فتسعده وتسعد به، كما كان حال الصديقة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) مع النبيﷺ وإما أن تبقى حيث هي، فلا تحظى مع الرسول أو الإمام بغير المنام والمضاجعة وأحياناً بغير الطلاق والمفارقة، لقد وجدنا من زوجات الأنبياء والأولياء من كانت كذلك . . . فقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن مثلاً للذين كفروا امرأتين من زوجات الأنبياء خانتا خط الأنبياء، وتركتا المسيرة الرسالية وأحبتا الدنيا، وركنتا إليها، فكانتا مثلاً لكل الذين كفروا:

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

وهذا الامتحان الصعب تعرضت له السيدة أم البنين عليها السلام فلم تُحَقِّق نجاحاً وتجاوزاً للضغوط فحسب، بل حققت فوزاً ساحقاً، وعملاً بطولياً شامخاً، فكانت من قوم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، فغدوا في رياض الجنة يرتعون، ومن نمير الكرامة يشربون، فإيثارها علياً عليه السلام على الدنيا، وفرحها بالاقتران به هذا الموقف يثبت لنا حقيقة وعيها وعظيم ولائها لسادات الخلق الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الموقف الثاني ـ وفاؤها للزهراء عليها السلام وعرفانها لمقامها العظيم:

وكونها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وأنه لا يمكن أن يقاس بها من هذه الأمة بل ولا من كل الأمم أحد.

ويتجلى هذا الأمر في قولها للحسن والحسين عليهما السلام وزينب ليلة زفافها من علي «أنا ما جئت هنا لأحل محل أمكما فاطمة»

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠. نساء حول أهل البيت عليهم السلام، ص١١٠.

ثم اختنقت بعبرتها وقالت: «أنا هنا خادمة لكم جئت لخدمتكم فهل تقبلون بهذا وإلا فإني راجعة إلى داري»[1] فرحب بها الحسن والحسين وزينب عليهم السلام وقالوا لها: «أنت عزيزة كريمة وهذا بيتك».

تأمل: هذا الموقف يصدر من (ضرة) تجاه (ضرتها) وتجاه أبناء (ضرتها) مع أنه إنما سميت الزوجة الأخرى (ضرة) لأن من شأنها الإضرار بسابقتها، والسابقة بلاحقتها وإن كان الإضرار حراماً.

فانظر إلى أي درجة بلغت هذه المرأة العظيمة؟، إننا نجد في حياة زوجات سيد البشر الرسول ﷺ التغاير، والتنافس حتى في صغائر الأمور، فإذا ما أثنى الرسول ﷺ على واحدة من زوجاته تستحق الثناء، يلوح الغضب وتعترض الغيرة من زوجة أخرى وإن كانت المذكورة بالثناء ميتة، كما حصل للسيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام واعتراض بعض زوجات الرسول ﷺ عليه حيث قالت: «لا زلت تذكر عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها» فيقول الرسول ﷺ: «والله ما بُدّلت خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وأعطتني حين منعني الناس، وصدقتني حين كذبني الناس»[2].

---

(١) العباس رجل العقيدة والجهاد، ص٣٤.

(٢) راجع سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية.

أما أم البنين عليها السلام فقد بلغت من التقوى والإيمان والولاء لأهل البيت عليهم السلام حداً جعلها تؤثر ضرتها وأبناء ضرتها على نفسها التي بين جنبيها ذلك لعلمها بأنهم سادات الأنام وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.

ومعرفتهم تتطلب معرفة حقوقهم والإذعان إليهم وطاعتهم طاعة مطلقة ليست مقيدة بقيد ولا مشروطة بشرط لأنهم المعصومون الذين لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.

الموقف الثالث ـ تمريضها للحسنين عليهما السلام وسهرها معهما ليلة زفافها:

كل امرأة وكل فتاة تنتظر (ليلة العمر) بفارغ الصبر لتنعم بسعادة الحياة الزوجية، وخدمة من يقوم بخدمتها، إذ ليس من المتعارف لا في السابق ولا في الحاضر أن تتحول ليلة الزفاف على نحو الاختيار إلى ليلة نكد وتعب وعناء ينغص عيش الحياة الزوجية، ويكدّر صفو متعتها، ومن الصعب جداً بل ربما قارب المستحيل أن نجد امرأة في عز شبابها، وفي ليلة زفافها، تحوّل بمحض إرادتها أُنسها، وهناء عيشها، في تلك الليلة إلى سهر في رعاية أبناء ضرتها بل إننا نجد في عرفنا اليوم أنه لو تزوجت المرأة وعندها أولاد صغار من زوج سابق، فإن ليلة زفافها بل

الثلاثة الأيام الأولى من زفافها لا يكون أولادها معها حتى لا ينغصوا عليها صفو سعادتها الزوجية، بل تأخذهم وترعاهم امرأة أخرى تقرب إليهم، فكيف يُترك معها أو ترضى هي بأن يبقى معها أولاد ضرتها؟ أما السيدة أم البنين عليها السلام حين زُفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام علمت بأن الحسن والحسين عليهما السلام مريضان، والكل وقتئذ حاضر ومستعد لرعايتهما وتمريضهما في تلك الليلة وما بعدها، إلا أن أم البنين عليها السلام أبت وأصرت على أن تكون هي التي تمرضهما وترعاهما وهي (عروس) في ليلة زفافها، وقالت كلمتها التي خلدها التاريخ: «إني لن أشعر بفرحة الزواج إلا بعد شفاء ابنيّ الحسن والحسين عليهما السلام»[1].

يقول السيد المقرّم في ذكر فضل أم البنين عليها السلام: «وبلغ من فضلها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت عليهم السلام أنها لما أدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسنان مريضين، أخذت تلاطفهما وتسهر معهما وتقابلهما بالبشاشة وتلقي عليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون»[2].

وإذا ما وجدنا امرأة ما في أيام زواجها الأولى أو فيما بعدها

---

(١) العباس رجل العقيدة والجهاد، ص٣٤.

(٢) أم البنين سيدة نساء العرب، ص٥٠. أدب الطف، ج١، ص٧٢.

تحنو على أبناء ضرتها فربما كان للتقرب لزوجها ولإثبات صفاء جوهرها كيما تنال بذلك رضا زوجها وتكسب حبه وودّه، بيد أن السيدة أم البنين لم تفعل ذلك إلا من منطلق الوعي والإدراك والعلم بأن محبة أهل البيت عليهم السلام وخدمتهم والتضحية من أجلهم واجب شرعي تقوم به كيما تنال رضا الله تعالى وعفوه. ولهذا يقول الحكيمي في (أعيان النساء): «ولم تخرج أم البنين إلى أحد قبل أمير المؤمنين عليه السلام ولا بعده وكانت من النساء العالمات الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت، مخلصة في ولائهم»[1].

الموقف الرابع ـ حرصها على مشاعر الحسن والحسين عليهما السلام

نقل لنا التاريخ أن السيدة أم البنين (فاطمة بنت حزام) لما انتقلت إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام رأت شدة تعلق أبناء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بأمهم وفي نفس الوقت كان الإمام علي عليه السلام إذا ما أراد مخاطبة زوجته السيدة أم البنين كان يخاطبها باسمها لا بكنيتها فكان يقول (يا فاطمة) فكانت تستأنس بسماعها اسمها (وهو خير الأسماء) من لسان بعلها الطاهر الصديق، ولكن في نفس الوقت كانت ترقب ماذا يرتسم على وجوه أبناء الزهراء عليها السلام وهم يسمعون اسم (فاطمة) فيجدون

(١) أعيان النساء للحكيمي، ص٥٠.

المجيب امرأة أخرى غير أمهم! إنها مع شدة رعايتها لهم وشدة حرصها بهم وكونها لهم كالأم الحنون حتى لا يشعروا بفراغ أمهم الزهراء عليها السلام وغيابها إلا أنها مع ذلك كانت تلحظ بعض التأثر وإن اختلفت نسبته يعلو وجه الحوراء زينب وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام فلم تحتمل ذلك، لأنها كانت لهم أماً حقيقية لا أماً شكلية فكان تأثرهم يمزق على نحو الحقيقة أحشاءها، ويدمي فؤادها فهل ترضى بأن تستأنس بسماع اسمها العذب من لسان زوجها البر التقي والصادق الوفي، ويكون ثمن ذلك ألم أبناء الزهراء عليها السلام بتذكرهم لفراق أمهم، أو إشعارهم بأن امرأة أخرى حلّت محل أمهم؟.

لو كانت امرأة أخرى غير السيدة أم البنين ربما كانت لا تعير هذا الأمر اهتماماً، بل تراه أمراً لا يستحق أن يُلتفت إليه.

إلا أن السيدة العفيفة البرة الوفية أم البنين لم تغفل عن هذا، ولم تستهن به بل جاءت إلى بعلها سيد الوصيين ووقفت بين يديه وقفة الأمَةِ المذنبة بين يدي سيدها وقالت: يابن العم لي عندك حاجة فأجابها الزوج الكريم وهو يعرف مقام مَنْ تحدّثه: ما حاجتك يا ابنة العم يا فاطمة؟ قالت حاجتي أن لا تسميني فاطمة!!! وأدرك علي عليه السلام سر ذلك فسألها مبتسماً سؤال العارف وما تبسمه إلا شهادة رضا بموقفها العظيم. ولماذا يا

ابنة العم؟ قالت: أرى آثار الحزن والتأثر على وجه الحسن والحسين وزينب عند سماعهم اسم أمهم وهذا يؤلمني ويشق عليّ.

فقال: يا ابنة العم وأي الأسماء أحب إليك؟ فقالت سَمِّني بـ (أم البنين) وقد أطلق عليها هذه الكنية تفاؤلاً بالبنين بعد ولادتها على أصح الأقوال فاستجاب لها الإمام وبقي لا يناديها إلا بأم البنين وكان الناس لا يخاطبونها إلا بهذا الاسم إلى ما بعد واقعة الطف وإلى أن وصلها نبأ مصرع كل أبنائها حينئذٍ وقفت عند البقيع وهتفت بالناس بكل ألم وحرقة:

لا تدعوني ويك أم البنين	تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أُدعى بهم	واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى	قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم	فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا	بأن عباساً قطيع اليمين[1]

أولادها

رزقت السيدة أم البنين عليها السلام أربعة أولاد ذكوراً استشهدوا جميعاً في معركة الطف الدامية ذوداً عن الدين بين يدي أخيهم

(١) الأعيان، ج٨، ص٣٨٩.

سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهم:

١ ـ العباس بن علي عليه السلام:

وهو أول مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، كانت ولادته يوم الجمعة الرابع من شعبان في السنة السادسة والعشرين للهجرة.

وحينما بُشر أبوه أمير المؤمنين عليه السلام بولادته سارع إلى الدار فتناوله وصار يوسعه لثماً وتقبيلاً ثم أذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم تناول كفيه الناعمتين وصار يقبلهما.

ثم بدأ يقلبهما وعيناه تفيضان دموعاً وهو يقول: «عزيزٌ عليّ يا ولدي» لاحت من السيدة أم البنين التفاتة فرأت أمير المؤمنين يقلب كفي وليدها وهو يبكي بكاء مراً فقالت له مذهولة: يا أبا الحسن ما يبكيك؟ فكشف لها عن غامض القضاء وما يجري على هذا الوليد يوم عاشوراء من قطع كفيه وإصابة عينه بالسهم وانفلاق هامته بعمد من حديد وأخبرها أن ما يحدثها به هو ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله تعالى، فاشتد حزنها وتضاعفت آلامها وفوّضت أمرها إلى الله تعالى وازداد تعلق الأم بوليدها المبارك حتى استوعب حبه قلبها وإحساسها وكل حياتها، فكان عندها أعز من الحياة، وكانت تخاف عليه، وتخشى من أعين الحساد أن تصيبه وكانت تعوذه بالله وتقول هذه

الأبيات:

أعيذه بالواحد من عين كل حاسد

قائمهم والقاعد مسلمهم والجاحد

صادرهم والوارد مولدهم والوالد

سماه أبوه (عباساً) وهو من أسماء الأسد ويعني الأسد الضاري لما قد أحاط به علماً من غامض القضاء بشجاعته وصولته في الحروب قال الشاعر:

عبست وجوه القوم خوف الموت

والعباس فيهم ضاحك متبسم

وكنيته المشهورة «أبو الفضل» وألقابه كثيرة:

منها: (قمر بني هاشم) وذلك لجمال هيئته وروعة بهائه، فلقد كان بارع الجمال[١] يركب الفرس المطهم[٢] ورجلاه تخطان في الأرض.

ومنها: ما عرف به يوم الطف (ساقي العطاشى) لاهتمامه البالغ بجلب الماء لسقي عيالات أخيه الحسين عليه السلام في الوقت الذي كان على المشرعة وحدها أربعة آلاف دارع كما ذكر

(١) لسان العرب: ج١٢، ص٣٧٢.

(٢) المطهم من الناس والخيل: الحسن التام كل شيء منه على حدته.

الطبرسي في (أعلام الهدى) حيث فرقهم عن المشرعة وملأ القربة ماءً وجاء بها إلى عطاشى أهل بيت النبوة.

ومنها: (بطل العلقمي) وهو اسم لنهر الفرات الذي استشهد على ضفافه أبو الفضل العباس عليه السلام أو اسم لفرع منه.

ومنها: (باب الحوائج) ولهذا يقول العلامة السيد صالح الحلي:

باب الحوائج ما دعته مروعة
في حاجة إلا ويقضي حاجتها

وقد أخذ العلم عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال فيه أبوه سيد الوصيين: «إن ولدي العباس زُقّ العلم زقاً» ومعنى (زق العلم زقًّا) من زق الطير فراخه إذا أطعمهم وغذاهم والمعنى المراد: هو أن العباس عليه السلام أطعم العلم إطعاماً منذ حداثة سنه ونعومة أظفاره.

وقال فيه الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «رحم الله عمي العباس فلقد كان نافذ البصيرة صلب الإيمان أبلي بلاء حسناً حتى قطعت يمينه وشماله فأبدله الله بهما جناحين أخضرين يطير بهما مع الملائكة في الجنة».

وقال فيه الإمام الحجة (عج) في زيارة الناحية المقدسة:

«السلام على أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام

المواسي أخاه بنفسه الآخذ لغده من أمسه، الساعي إليه بمائه، الفادي له، المقطوعة يداه . . .».

ولقد عُرف بشدة تواضعه لأخيه الحسين عليه السلام فكان يمرّغ خديه ورأسه بين يدي أخيه الحسين عليه السلام وكان إذا خاطبه لا يقول يا أخي بل يقول: يا سيدي يابن رسول الله.

ولقد سطر أبو الفضل العباس أروع الدروس في المواساة لأخيه الحسين عليه السلام منها امتناعه عن شرب الماء وأخوه الحسين عطشان، رغم شدة عطشه، ووصوله إلى الماء، وتحسس برده بيده، حتى سقط صريعاً بجنب المشرعة.

بعد أن قُطعت يداه، وأصابه السهم في عينه، وفُلقت هامته بالعمود، وتعدّدت جراحاته حتى لم يبق فيه موضع من بدنه لا توجد فيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو إصابة سهم.

أحقّ الناس أن يُبكى عليه — فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي — أبو الفضل المضرّج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء — وجاد له على عطش بماء[1]

وكان آخر من قتل من أهل بيت الحسين عليهم السلام فلما وصل

(١) الغدير: ج٣، ص٥. الأبيات للفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام يرثي جده العباس.

إلى مصرعه الحسين ورأى ما حلّ به، وضع يداً على قائم سيفه والأخرى على خاصرته وانحنى عليه وقال بصوت ضعيف ونبرة حزينة: «أخي الآن انكسر ظهري» ولم يقل للحسين عليه السلام هذه الكلمة عند مصرع أحد من أصحابه أو أهل بيته سواه وقد عزّ عليه مصابه، وكان عمره الشريف يوم شهادته أربعة وثلاثين عاماً.

فأكب منحنياً عليه ودمعه صبغ البسيط كأنما هو عندهم
قد رام يلثمه فلم يَرَ موضعاً لم يدمه عض السلاح فيلثم
نادى وقد ملأ البوادي صيحة صم الصخور لهولها تتحطم
أأخي يهنيك النعيم ولم أخل ترضى بأن أرذى وأنت منعم

٢ ـ عبد الله بن علي:

وهو ثاني مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، عاش مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ست سنين وكان عمره يوم الطف كما ذكر المؤرخون خمساً وعشرين سنة أي بينه وبين أخيه العباس قرابة تسع سنين، ولعبد الله هذا موقف بطولي خالد يوم الطف فلقد تقدم للقتال وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والإفضال
ذاك علي الخير في الأفعال

سيف رسول الله ذو الفصال
في كل يوم ظاهر الأهوال

فشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف على رأسه، فسقط شهيداً، وفي زيارة الناحية المنسوبة لإمامنا الحجة(عج) بيان لهذا الموقف البطولي:

«السلام على عبد الله ابن أمير المؤمنين مبلي البلاء، والمنادي بالولاء، في عرصة كربلاء، والمضروب مقبلاً ومدبراً».

ويتضح من قول الإمام (عج) (مبلي البلاء) تلك الشجاعة العظيمة والتضحية الكبيرة والبسالة الحيدرية التي قدّمها، كما يتضح من قول الإمام (عج) «المضروب مقبلاً ومدبراً» إحاطة العساكر به وتعاونهم على قتله لما تعسّر أن يقاتلوه من جهة واحدة.

٣ ـ عثمان بن علي عليه السلام:

وهو ثالث مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، ولد بعد أخيه عبد الله بسنتين، وفي مقاتل الطالبيين بأربع سنين وعمره يوم الطف ثلاث وعشرون سنة، وفي مقاتل الطالبيين واحد وعشرون سنة.

سمّاه أبوه عثماناً باسم رفيقه في الجهاد عثمان بن مظعون رضي الله عنه

كما روي هذا عن أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وله موقف بطولي خالد يوم الطف حيث تقدم إلى الميدان وهو يرتجز ويقول:

إني أنا عثمان ذو المفاخر   شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر
أخي حسين خيرة الأخاير   وسيد الكبار والأصاغر
بعد الرسول والوصي الناصر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم وقع في جبينه فأضعفه حتى سقط عن فرسه إلى الأرض، فجاءه رجل من أبان بن دارم فاحتز رأسه الشريف.

٤ ـ جعفر بن علي عليه السلام:

وهو المولود الرابع للسيدة أم البنين عليها السلام وآخر أولادها ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين وكان يوم الطف ابن إحدى وعشرين سنة على الأكثر وفي مقاتل الطالبيين ابن تسع عشرة سنة.

وبطولته العظيمة يوم الطف تتجلى من خلال زيارة إمامنا الحجة (عج) له:

«السلام على جعفر ابن أمير المؤمنين الصابر بنفسه محتسباً،

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إنما سميته عثمان باسم أخي عثمان بن مظعون.

والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال».

ويوم تقدم إلى معسكر الأعداء أخذ يرتجز ويقول:

إني أنا جعفر ذو المعالي ابن علي الخير ذي النزال

حسبي بعمي شرفاً وخالي أحمي حسيناً ذا الندى المفضال

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي وقيل هاني بن ثبيت الحضرمي فأصاب شقيقته أو عينه فقتله[1].

سمّاه أبوه باسم جعفر بن أبي طالب المعروف (بالطيار):

حكى جعفر في كربلاء بأس جعفر كما قد حلّى بالضرب والده القرما

أدى حقوق المجد والفخر من حكى بأفعاله الغرّ الأبَ القرمَ والعمّا[2]

وهكذا حفظ الأولاد الأبطال يقدمهم أخوهم قمر العشيرة وصية أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام وأمهم البجلة الصابرة أم البنين عليها السلام في أخيهم الحسين عليه السلام فكانوا كما وصفهم أهل البصائر (أمراء العساكر وخطباء المنابر).

نفوس أبت إلا تراث أبيهم

فهم بين موتور لذاك وواتر

---

(١) البحار: ج٤٥، ص٣٨.

(٢) بطل العلقمي، ترجمة جعفر بن علي.

لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى
كما أنست أقدامهم بالمنابر
* * *
فوارس من عليا قريش تسلموا
من المجد صعباً ظهره ليس يُركِبُ
أتوا في العلا ما ليس يدري فأغربت
معاني الثنا في مجدهم حيث غربوا

الفصل الرابع

امرأة المواقف

الأسباب التي جعلت أم البنين امرأة المواقف:

إن تلك المواقف الشريفة التي أثبتت فيها السيدة أم البنين عليها السلام أنها بلغت الذروة في ولائها الصادق لأهل بيت العصمة عليهم السلام خصوصاً سيد الشهداء الحسين عليه السلام لم تكن بالطبع وليدة الصدفة، أو وليدة اللاشيء، بل هناك أسباب كثيرة وقفت وراء صقل النفس الطاهرة للسيدة أم البنين حتى تولدت منها تلك المواقف الكريمة. ونحن في هذا الفصل نشير إلى أربعة أسباب منها:

أولاً ـ تعلمها في مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام:

وهذا السبب يعتبر من أهم الأسباب التي ارتقت بنفس السيدة أم البنين إلى ذرى المجد. لقد تعلمت وتربت في مدرسة إمام الواعظين وسيد العارفين وباب مدينة علم سيد المرسلين حتى أصبحت من النساء العالمات الفاضلات العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام ، وقد وصفها الداوودي في كتابه العمدة بـ (العالمة)

كلقب من ألقابها العالية، ولم يلقب بهذا اللقب من النساء في ذلك العصر بشكل بارز غير عقيلة بني هاشم[١] كما ذكر الدلفي في كتاب سطور من نساء مؤمنات.

لقد تعلمت أم البنين من مدرسة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام الصدق والوفاء والشجاعة والإباء، والطهر والنقاء، تعلمت ما لها وما عليها، تعلمت المثل العليا، والأخلاق العظيمة، والسجايا النبيلة، تعلمت القرآن والسنة، تعلمت العبادات والمعاملات، تعلمت أسرار الحياة ووعت الواجب والمحرم والمباح والمكروه والمستحب وعرفت عن قرب أئمتها وأدركت عن يقين أنه بموالاتهم تقبل الطاعة المفترضة، ولهم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عز وجل والجاه العظيم، والشأن الكبير، والشفاعة المقبولة.

ليس هذا فحسب، بل كان أمير المؤمنين عليه السلام يطلعها على غامض القضاء في كثير من الأمور لما رأى منها الأهلية والاستعداد لذلك، فليس كل أحد تكون نفسه مستعدة كي تنقش فيها تلك الأسرار وتلك العلوم الغيبية التي جاء بها جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فأودعها النبي صلى الله عليه وآله صدر ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام بدوره أودعها صدور الطاهرين المعصومين من أهل بيته.

---

(١) ثمرات الأعواد للهاشمي، ص١٣٤، طبعة ٢.

ولقد وصلت السيدة أم البنين إلى درجة استحقت بها أن تودع بعض هذه الأسرار، كما حصل في إخبارها على ما يجري على ولدها العباس قمر العشيرة في كربلاء، وذلك في يوم ولادته حيث كان يقلب كفيه ويقبلهما وهو يبكي، وحينما سألته عن سبب بكائه أخبرها بما يجري على كفيه يوم عاشوراء من القطع، وهو يحاول إيصال الماء إلى مخيم بنات رسول الله.
فإذن تعلمت السيدة أم البنين عليها السلام من مدرسة إمامها وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام تلك المدرسة المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقريراته، فمن سكوت علي عليه السلام تعلمت ومن كلامه تفقهت، ومن سلوكه وأفعاله اتعظت، فكانت كل حركة من حركاته أو سكنة من سكناته، أو رمقة من رمقاته درساً تتعلم منه الكثير الكثير.

ولا شك أنه بالعلم يطاع الله ويعبد، فتعلُّم أم البنين وأخذها من النبع الصافي هو الذي حوّلها إلى تلك المرأة المعجزة التي تتحدث عن مواقفها وكراماتها الركبان.

ومن هنا تأتي أهمية التعلم، فجهل المرأة وعدم وعيها، هو سبب التخبط في الحياة، والركون إلى شهواتها المهلكة، وحينما أقول: جهل المرأة، أعني معرفتها للعلم الديني بجميع فروعه من العبادات والمعاملات وغيرها، وإن كانت تحمل شهادة جامعية، فكم من جامعية لا تعرف أصول دينها فضلاً عن

فروعه، فكيف تعرف دروس الشجاعة والإباء؟ وكم من معجبة بنفسها ويعلمها لا تعرف سوى القراءة والكتابة والاهتمام بمكياج وجهها، وتسريحة شعرها وجمال فستانها، أما دروس القيم والآداب والمثل العليا ومكارم الأخلاق ومحامد الخصال فلا تعرف منها شيئاً فضلاً عما يجب عليها تجاه أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى وذوي النهى وأولي الحجى وورثة الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى بعلمه، وارتضاهم لغيبه، واختارهم لسرِّه واجتباهم بقدرته، وأعزهم بهداه وخصهم ببرهانه وانتجبهم لنوره وأيدهم بروحه ورضيهم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وعند الجهل بذلك تكون الصفقة خاسرة، والتجارة كاسدة، ومدرسة علي عليه السلام لم تغلق فعلي عليه السلام إن رحل عنا بجسمه فلم يرحل عنا بروحه ومواقفه وعلومه ودروسه، فها هي دروسه ومواعظه موجودة بين أيدينا وبإمكان كل واحد من بناتنا وأخواتنا ونسائنا أن تكون (أم البنين) ثانية، كذلك الأمر بالنسبة إلى أولادنا وإخواننا.

فلندرس ولنقرأ ولنفكر ولنستفد من الوسائل الحديثة ولنحولها إلى وسائل تعلم وتفقه كما حولها الأعداء إلى وسائل لهو ومعصية.

لماذا نجد نسبة القراء في مجتمعنا العربي والإسلامي في تنازل مستمر؟ أما آن الأوان أن نتعلم، وأن نتفقه وأن ندرس حتى نرقى بأنفسنا المتعلمة سلّم المجد كما ارتقت السيدة أم البنين عليها السلام؟.

ماذا نعرف عن أهل البيت عليهم السلام؟ خصوصاً وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله في شأن معرفتهم: «من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً يوم القيامة عمله إلا بمعرفة حقنا»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه»[٢].

وقال عليه السلام: «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين»[٣].

وقال عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمعتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم

(١) الغدير: ج٢، ص٣٠١.
(٢) نهج البلاغة.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢، ص٣٨.

فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»[١].

فكيف هي المعرفة لحقوقهم؟ وكيف السبيل إلى تحقيقها؟

إننا مع بالغ الأسف لا نعرف شيئاً يستحق أن يذكر عن مقام أهل البيت عليهم السلام وبالتالي قصرنا في حقهم ولا زلنا نقصر، بل جفوناهم، وخالفناهم وعصيناهم، وأغضبناهم، ولا ندري بأي وجه نقابلهم فيما لو فاجأنا الموت وكنا بين أيديهم وجهاً لوجه.

إن الزيارة الجامعة المروية عن إمامنا الهادي عليه السلام والتي ثبت صحة سندها إجماعاً تعرّفنا شيئاً كثيراً عن مقام أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم عند الله طالما جهلناه ولا زال أكثرنا يجهله مع أن الإمام الهادي عليه السلام استل تلك الحقائق عن مقام أهل البيت عليهم السلام من صميم القرآن بل من محكم آياته، وفَهْمُنا وإدراكنا لأبعاد وحقائق ومعارف تلك الزيارة يوقفنا على جادة المعرفة لمقام أهل البيت عليهم السلام الذين نسأل الله تعالى بحقهم ومنزلتهم عنده أن يدخلنا في جملة العارفين بحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنه أرحم الراحمين.

إن أهم درس ينبغي أن نتعلمه من سيدة نساء العرب، أم البنين عليها السلام هو ضرورة التعرف على مقام أهل البيت عليهم السلام عبر

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٥، ص١٩٠.

الكتاب والشريط وعبر الإنترنت ومختلف الوسائل الحديثة والمتطورة وعبر مجالسة العلماء، وعقد الندوات، واستخدام كل وسيلة للوصول إلى هذا الهدف المهم، إن الواحد منا لو كان مريضاً فإنه يفعل المستحيل ويستنفد كل الوسائل المتاحة له وغير المتاحة ليخلص نفسه من المرض ويجلب لنفسه العافية ولا يحتمل أن تطول مدة مرضه.

فكيف يحسن به أن يحتمل مرض الجهل لمقام أهل البيت ويرضى أن يستمر معه هذا المرض لسنين طوال مع علمه أن معرفة حق أهل البيت ومقامهم ولو في الجملة من أوجب الواجبات، فطاعته لهم وانقياده لأوامرهم واعترافه بإمامتهم، وغير ذلك مما يرتبط بحقوقهم عليه يتطلب منه المعرفة لحقوقهم ومقاماتهم.

فلنتخذ من أم البنين القدوة الحسنة لنصل إلى ما وصلت إليه من المقام العظيم المحمود عند الله عز وجل فإنه ما رام امرؤ شيئاً إلا ناله أو دونه.

ثانياً ـ القابلية:

ونعني بها الاستعداد النفسي والروحي الذي تميزت به السيدة أم البنين عليها السلام الأمر الذي أوصلها إلى ما وصلت إليه من التضحية الكبرى في سبيل الحق.

يقول الفلاسفة: لا يتحقق الأمر ـ أيُّ أمر ـ في الخارج إلا بتحقيق شيئين:

١ ـ الفعل.

٢ ـ الانفعال (أي قابلية حدوث الفعل).

فحتى يكون الكأس منكسراً في الخارج لا بد أن يتحقق الأمران الفعل (وهو كسره) والانفعال أي لقابليته للانكسار، أما لو تخلف أحد الأمرين كما لو كان الكأس من الحديد مثلاً أو من الورق فإن الانكسار لا يتحقق خارجاً.

وكذلك الأمر فيما لو أردنا أن يكون عندنا إنسان ما (ذكراً كان أم أنثى) عالماً، مضحياً، كريماً متفانياً في خدمة أهل البيت عليهم السلام فلا بد من تحقق الأمرين السابقين.

١ ـ الفعل: فتقوم بتعليمه وتربيته وغرس صور التضحية والجهاد في نفسه، وتزريق ولاية أهل البيت عليهم السلام والتفاني في سبيلهم في لحمه ودمه منذ نعومة أظفاره.

٢ ـ الانفعال: أي أن تكون عنده قابلية لذلك، فيفهم إذا فُهِّم ويعلم إذا عُلِّم، أما لو لم تكن عنده قابلية لذلك كما لو كان مجنوناً منذ ولادته، بمعنى وجود خلل تكويني في ذهنه فإن ما نصبوا إليه لا يتحقق في الخارج، كذلك الأمر لو لم يكن عنده

خلل ذهني من الناحية التكوينية لكنه عاش في وسط فاسد حتى ران الفساد والانحراف على قلبه، أو كان منحدراً من سلالة فاسدة مثلاً، ثم عاش ردحاً من سنيّ عمره مع الدنيا ولهوها وسكرها وفسادها.

فإن قابليته لأن يكون كما نريد ونتمنى وقتئذٍ تكون معدومة، أو شبه معدومة، كما أن الغايات الكبرى السامية كالغاية التي افترضناها وهي صناعة إنسان يحتمل خصال النبل والكرامة بما في ذلك التضحية والتفاني الذي لا يقف عند حد في خدمة أهل البيت عليهم السلام والذود عنهم تحتاج إلى جهد كبير جداً لإيجاد أرضية تتحقق فيها تلك القابلية المنشودة، فالحمل الثقيل لا ينهض به إلا أهله.

فلو أردنا من طفل صغير لا يتجاوز السنة الخامسة من عمره أن يحمل صخرة كبيرة تزن مائة كيلو غرام فإنه لا يستطيع بالطبع أن يحملها، بل ولا دحرجتها حتى لو حاول ذلك مراراً، ذلك لأن جسمه الضعيف لا يمتلك قابلية الحمل لذلك الوزن الثقيل أو زحزحته، وغاية عظمى كالتي وصلت إليها السيدة أم البنين عليها السلام وهي قولها لبشير بن حذلم لما جاء ينعى إليها أولادها الأربعة وما أغلاهم عندها قالت بقلب فولاذي ومعرفة قلّ نظيرها لمقام أهل البيت عليهم السلام: «قطّعت نياط قلبي، أولادي

ومن تحت الخضراء فداء لسيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين، ما سألتك عن أحد من أولادي أخبرني عن ولدي الحسين أحي هو أم ميت!!».

ويكاؤها على الحسين صباحاً ومساءً وطول سهرها حزناً وكمداً على الحسين وإلى أن رحلت هذه الدنيا الفانية، هذه الغاية العظيمة إنما تحققت لتحقق الأمرين السابقين (الفعل والانفعال) فقد استضاءت بنور علم أمير المؤمنين عليه السلام ودرست على يديه المعارف العليا، وأطلعها بعلها مولى الموحدين (عليه السلام) على ما يجهله أكثر الناس من مقامات أولياء الله، وأوصياء نبي الله عليهم صلوات الله وسلامه ما كرَّ الجديدان الليل والنهار، وسبحت الحيتان في أعماق البحار.

بالإضافة إلى أصالتها وعمق إيمانها وشرف حسبها، فقد ولدتها الفحول من العرب وصارت زوجة لأخي الرسول صلى الله عليه وآله وناهيك بمن تكون زوجة لبطل الإسلام الخالد كيف لا تتأثر به، وتلتصق بروحه وأخلاقه ومبادئه، لقد تعلمت منه ترويض النفس وتهذيبها حتى صارت نفسها كنفسه تهشّ إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وإلى الملح مأدوماً.

وتعلمت منه إحياء الليل بالعبادة والمناجاة وتعلمت منه دروس التضحية والفداء فهي لم تنسَ خوضه لغمرات الموت في

غزوة بدر وأُحد والأحزاب وخيبر وغيرها ولم تنسَ مبيته على فراش سيد الأنام ﷺ باذلاً في سبيله مهجته كل هذا جعل من نفسها نفساً طاهرة سامية مضحية محبة للحسين عليه السلام وأهل بيته باذلة في سبيله أغلى ما عندها في الوجود وهم فلذات أكبادها الأربعة.

من هنا ينبغي أن نتعلم من هذه السيدة العظيمة الدرس في ضرورة ترويض نفوسنا ونفوس أولادنا، بالعكوف على طاعة الله ومناجاته وعدم الاغترار بزخارف الدنيا وزينتها، فإن المعالي لا تنال بالآمال ولا بالأماني، بل تنال بالعمل والتعب، والله تعالى كريم قد تكفل بمعونة من يسلك سبيله، وضمن نصرة من يسعى لنصرة دينه فقال تبارك اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[1].

فلنقرر من الآن ومن هذه الساعة الوصول إلى ما وصلت إليه السيدة أم البنين عليها السلام وذلك بالسير على الطريق الذي سارت عليه، فإن طول الطريق يقطعه المسير، ومن سار على الدرب وصل، فإن قابلية الوصول إلى ذروة المجد لا تتأتى إلا بطول الرعاية والرقابة لهذه النفس، والحفاظ عليها من مزالق الزمان، ووساوس الشيطان.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

فالمرأة التي تجعل كلَّ همِّها مثلاً في حضور حفلة عرس، وفي زجاجة عطر، وتسريحة شعر، وشبعة بطن وإشباع غريزة ولا تبصر من الحياة شيئاً يتجاوز حدود جسدها، تختلف عن المرأة التي تنظم وقتها وتقسم اهتماماتها، وتنهض بجميع مسؤولياتها.

فهي تعطي جسدها حقه من العناية والجمال لأنه بالتالي يرتبط بحق مهم من حقوق بعلها، وتعطي روحها حقها من المناجاة والتهذيب والترويض والمحاسبة، وتعطي أولادها حقهم من الرعاية والتربية وتعطي أرحامها حقوقهم من البر والصلة، وتعطي مجتمعها حقه من الإصلاح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهاتان المرأتان في مضمار السباق إلى العلياء، لا يمكن أن تكونا في خط متوازٍ وكذلك الأمر بالنسبة للشاب الذي لا يعرف من الحياة إلا فرجه وبطنه وشهوته ولذائذه لا يفرِّق بين حلال أو حرام، فإنه لا يمكن أن يسير في مضمار السباق جنباً إلى جنب مع الشاب المؤمن المصلي الصائم، البار بوالديه الوصول لأرحامه المصلح في مجتمعه، الناهض بمختلف واجباته فلا إفراط ولا تفريط عنده، ومن طلب العلا سهر الليالي يغوص البحر من طلب اللآلي.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

ثالثاً ـ المنبت الحسن والتربية الصالحة:

السيدة أم البنين عليها السلام العابدة الزاهدة المحبة للخير الصانعة للمعروف والآمرة به والتاركة للمنكر والناهية عنه، قد انحدرت من سلالة طيبة، ومنبت حسن، فأجدادها معروفون بمكارم الأخلاق، ومحامد الخصال، كما أنها فوق ذلك قد تربت ونشأت تحت رعاية أبوين كريمين جليلين معروفين بسمو الأدب، وعلوّ المنزلة، مما جعلها تتصف ومنذ نعومة أظفارها بمكارم الأخلاق، من العفة والستر والأدب وحسن العشرة، وغيرها من الخصال الحسنة والمثل العليا.

وهذه النشأة الطيبة والمنبت الحسن يعتبر من أهم الأسباب التي جعلتها تصل إلى ما وصلت إليه من الذوبان في حب الحسين عليه السلام والتضحية من أجله بأغلى ما عندها وهم فلذات أكبادها الأربعة، بل وهيامها بالحسين وتربع حبه على صدرها وأخذه بمجامع قلبها حتى لم يكن هناك مجال في قلبها ليشارك الحسين عليه السلام في منزلته عندها بخلاف المنبت السيئ الذي يجعل من الإنسان وحشاً كاسراً بل منسلخاً من أدنى درجات

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

الإنسانية، كما فعل يزيد بن معاوية من قتل الحسين بن علي عليه السلام سيد شباب أهل الجنة وحزّ رأسه، وسلبه ثيابه، وأخذ بناته، ونسائه، وصبيته، سبايا وفوق ذلك وأمام الملأ في مجلسه يضرب بقضيبه رأسه الشريف ويكسر ثناياه ويردد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

ولتقابل الطريقين (المنبت الحسن والمنبت السيئ) نجد الشريعة الإسلامية تؤكد على ضرورة أن يتخير الإنسان لنطفته إذا ما أراد أن يؤسس أسرة طيبة بالزواج، وأن لا ينخدع بالجمال القشري، فتأتي الروايات والأحاديث كالسيل في هذا المجال من قبيل ما قاله الرسول ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

وقال ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن قيل يا رسول الله ومن خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في منبت السوء». إلى غير ذلك من النصوص.

وَحِرْصُ الإسلام على حسن اختيار المرأة عند تكوين الأسرة يأتي من كون أن الأسرة تُعَدُّ من أول وأهم النظم الاجتماعية التي ينشئها الإنسان لتنظيم حياته في الجماعة، فالأسرة باعتبارها المؤسسة التي ينتمي إليها الطفل تضع البذور الأولى لشخصيته

وخبراته التي تستمر طول حياته وهي بذلك تعتبر أيضاً اول وأهم وسيط لعملية التنشئة الاجتماعية وبانتماء الطفل إلى أسرة تشبع حاجاته الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية ينمو لديه الشعور بالانتماء والولاء لهذه الجماعة وهذا الشعور والولاء يعتبر أساسياً لتكيف الطفل ليس فقط داخل أسرته وإنما أيضاً في تفاعله وقيامه بأدواره الاجتماعية خارج نطاق الأسرة (المجتمع).

فصلاح الأسرة والمجتمع منوط بصلاح المرأة التي تعدّ هي المعلم الأول للطفل ومن ثم يأتي دور الأب والآخرين.

وقد بين شاعر النيل حافظ إبراهيم أهمية ودور الأم في الحياة فقال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا بالري أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

ونحن اليوم إذ نقف أمام نموذج لامرأة قلما نجد لها نظيراً بين النساء التي بصلاحها بَنَتْ أسرة طيبة سعيدة أمدت المجتمع بأفراد عجز الدهر أن يأتي بأمثالهم.

من هنا نعود إلى الوراء قليلاً لنتذكر ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل: «أبغني امرأة ولدتها الفحول من

العرب . . .».

فذكر له أم البنين حيث إن عشيرتها معروفة بالبطولة والنخوة والشجاعة وهي متصفة بالعفة والأدب والطهارة وحسن الأخلاق فاجتمع الأمران المنبت الحسن والنبتة الحسنة، ويا ليت شبابنا وشاباتنا اليوم يسيرون على هذا المنهج ليضمنوا صلاح ذريتهم ومجتمعاتهم، بيد أننا نرى على العكس تماماً ولو بنسبة قليلة فالتركيز كل التركيز على الجسد وجماله، لا على الروح وطهارتها، وحسن منبتها، وكم من زواج أسس على نظرة شهوانية، أو علاقة تلفونية غير شرعية انتهى إلى الطلاق وتمزيق الأسرة، فهل نتوقف لنفكر ثم نتخذ قرار العودة إلى منهج أمير المؤمنين عليه السلام، فتكون الثمرة، أم البنين ثانية أو قريبة منها أو على أقل سائرة على نهجها؟.

رابعاً ـ استشعار المسؤولية الدينية:

ومن الأسباب التي جعلت السيدة أم البنين عليها السلام تذوب في حب الحسين عليه السلام وتبلغ في ولائها لأهل البيت عليهم السلام أسمى الدرجات وتجعل من أولادها ونفسها وجميع ما عندها شموعاً تحرق نفسها ذوداً عن ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله ومهجة قلب البتول، استشعارها للمسؤولية الدينية تجاه سادات الخلق، أهل بيت العصمة عليهم السلام.

إنه قد تكون عند الإنسان قابلية السمو والرفعة، والصعود في طبقات المجد ولكن لا يستفيد من تلك القابلية ذلك لأنه يحتاج إلى محرك يدفعه لاستخدام تلك القابلية، وهذا المحرك لا بد أن يكون بالدرجة الأولى ذاتياً وهو ما نسميه (بالواعظ النفسي) كما في الحديث الشريف عن إمامنا الجوادعليه السلام :

«المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه» وهو ما يسميه البعض (بالوازع الديني النفسي) ويطلق عليه في المصطلح القرآني (التقوى).

فلو مررت ببركة ماء ورأيت طفلاً يغرق وأنت قادر على إنقاذه فإن قدرتك هذه وحدها لا تكفي لإنقاذه بل لا بد من وجود محرك لهذه القدرة وهو استشعارك للواجب الديني والأخلاقي لإنقاذ حياته، وهذا المحرك هو الذي يولد القابلية لإنقاذه إن كانت منعدمة كما لو كنت عاجزاً عن إنقاذه لإعاقة بدنية مثلاً فإن استشعارك للمسؤولية الدينية والأخلاقية تدفعك إلى أن تصرخ هنا وهناك طالباً النجدة والمعونة لتجد حينئذ من يقوم بإنقاذه.

إن الإنسان في كثير من الأحيان تدعوه نفسه إلى الانحراف والاستهزاء بما فرضه الله تعالى من فرائض ونهاه عن محرمات، وقابلية الانحراف متوفرة عنده، والسبيل إلى ذلك سهل ميسر،

ويتفق مع هوى النفس ولكن استشعاره لمسؤوليته الدينية يقف في طريق انحرافه وانزلاقه.

إن السيدة أم البنين عليها السلام عرفت أهل البيت عليهم السلام حق المعرفة عرفت بأنهم معادن العلم وينابيع الحكم، ودعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته وعرفت بأنه من أراد الله بدأبهم، ومن وحده قبل عنهم، ومن قصده توجه بهم، وعرفت بأن الطاعة المفترضة لا تقبل إلا بموالاتهم، ولا يكمل إيمان مؤمن إلا بعودتهم، فمعرفتها هذه جعلتها تستشعر مسؤوليتها الدينية تجاه أهل البيت عليهم السلام فنهضت بأعباء تلك المهمة حتى بلغت ما تمنت، ومن هنا ينبغي أن نتعلم منها هذا الدرس البالغ الأهمية، ذلك لأن ما جعل أكثر الناس يركنون إلى الدنيا ويستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ويضيعون الحقوق والواجبات، هو عدم استشعارهم لهذه المسؤولية الدينية، وعدم الاستشعار هذا سببه الجهل وقلة الفقه والفهم لما هو واجب أو غير واجب ولهذا جاءت تعاليم أهل البيت عليهم السلام تحث على ضرورة التفقه في الدين من قبيل ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام:

«تفقهوا في دين الله فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدين

والدنيا. . . ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً»[١].

وما قاله الرسول ﷺ: «أفٍّ لكل مسلم لا يجعل في كل جمعة يوماً يتفقه فيه أمر دينه، ويسأل عن دينه»[٢].

وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «لا خير في عبادة ليس فيها تفقه»[٣].

إلى غير ذلك من النصوص . . .

إن فقه السيدة أم البنين هو الذي جعلها تؤثر ابن ضرتها الحسين عليه السلام على أولادها.

فأن تؤثر المرأة ضرتها على نفسها أو أبناء ضرتها على أبنائها كما فعلت أم البنين عليها السلام أمر نادر بل منعدم في عالم اليوم والأمس. حيث نرى أن غالبية النساء في المجتمع تغلب على طبيعتهن الغيرة، والأثرة، وطالما تسببت زوجة الأب في بعث مآسي وكوارث فظيعة في العائلة، وذلك حين ينام ضميرها وتبتعد عن إنسانيتها، حيث تتولى الإساءة إلى أبناء زوجها الصغار من زوجة أخرى، وتحاول الوقيعة بينهم، وبين أبيهم،

(١) ميزان الحكمة: ج٧، ص٥٢٦.
(٢) ميزان الحكمة: ج٧، ص٥٢٧.
(٣) ميزان الحكمة: ج٧، ص٥٣٥.

لتستأثر هي ـ خصوصاً إن كانت تتحمل شيئاً من الجمال والحسن ـ بكل قلبه وعاطفته وبالتالي بثروته وملكيته دون هؤلاء المساكين.

وقد تزداد هذه الحالة والنزوة شدة وقسوة إزاء أبناء زوجها فيما إذا رزقت هي بأطفال من زوجها، حيث تحاول هنا أن تدع كل أفكار وعواطف واهتمام زوجها منصباً على أولادها من دون أولاده الآخرين، وكأن هؤلاء ليسوا بأولاده ولم ينزلوا من صلبه عبر زوجته الأولى بيد أن السيدة أم البنين عليها السلام ومن واقع العلم والمعرفة وصفاء الجوهر وطيب المحتد والنهوض بالمسؤولية الدينية جعلها تتألق في النبل والسلوك الحسن، فحين رزقها الله تعالى بأربعة أشبال، قامت بتعليم أبنائها وتدريسهم وغرس بذور المحبة في قلوبهم لإخوتهم أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام.

ليس هذا فحسب بل أوضحت لهم ما يتميز به أبناء الزهراء عنهم وأن الواجب الديني يقتضي أن يكونوا طوع أمرهم ورهن إشارتهم، بل والموت في سبيلهم. وهذا ما تحقق في واقعة الطف وما قبلها.

فهل نتعلم من أم البنين هكذا دروس؟ وهكذا مواقف؟ هذا ما نتمناه، فهنيئاً لنا بأم البنين، وهنيئاً لتربة حلت بها أم البنين وهنيئاً لك: يا أم البنين . . .

يا زوجة ولي الله الأعظم . . .

ويا فخر الأمة، وعز الإسلام . . .

ويـا أم مـن نـصـروا فـي الـطـفـوف

حسيناً ولـم يـرتـضـوا العيش هونا

هـزرت بـهـم راسـيـات الـجـبـال

بـمـا نـلـت مـن ذكـرهـم ثـائـريـنـا(١)

أم البنين ... حياة زوجية ناجحة

لقد جسدت أم البنين صفات الزوجة المؤمنة والأم الصالحة والمديرة الناجحة، وحسب ما أرادت هي أن تسمّي نفسها: الخادمة المخلصة.

فكانت تقوم في بيت الإمام علي عليه السلام بما تقوم به المرأة التي تريد لزوجها كامل السعادة، وتريد لأبنائها وأبناء زوجها كل الخير والتقدّم، وتريد لحياتها كل ما في قضاء الله وقدره ورضاه.

لم تكن أم البنين تقدم راحتها على راحة زوجها وأبناء سيدتها فاطمة الزهراء، فكانت أول يوم دخلت المنزل وجدت

---

(١) من قصيدة للأديب علي محمد الحائري.

الحسن والحسين مريضين فأخذت تسهر معهما وتقابلهما بالبشاشة ولطيف الكلام وتعاملهما كالأم الحنون.

ولم تكن تنام إلا بعد أن تطمئن قد هيّئت للحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ما يريح نومهم ويسعد أحلامهم.

ولم تكن تأكل إلا بعد أن تُشبِع أبناء علي وفاطمة من الطعام، وتنشر عليهم من كلمات الحنان، وتوزّع على الجميع في البيت ابتسامات الرضا والابتهاج بهم.

ولم تكن أم البنين تترك المنزل وحجره وساحته والمطبخ أيضاً إلا إذا تأكدت من نظافته ورتابة محتوياته، وهي تعلم أن ذلك كله ليس واجباً، وإنما كانت تتطوع خيراً لنفسها، تدّخره ليوم الحاجة إلى الأجر الأخروي، ولأن بذلك تتكامل فصول التعاون في الأسرة.

ولم تكن أم البنين تؤخر صلاتها عن وقت الفضيلة، ولم تكن تنسى تلاوة القرآن والدعاء. ولم تكن تهمل الجيران إذا طرقوا باب دارها.

أم البنين هي الزوجة المثالية، هي أم بكل معاني الأمومة الموفقة، هي مديرة بكل معاني الإدارة الناجحة، هي خادمة بكل ما للخدمة من أجر وثواب وتواضع وإخلاص.

أم البنين ما كانت ترى لنفسها وجوداً من دون واجباتها الشرعية والأخلاقية والإنسانية. وما كانت تفكر في حقوقها كزوجة ولا كأم ولا كمديرة لبيت الزوج ولا كخادمة. بل ذابت وأذابت نفسها بكل فخر واعتزاز في أن تؤدي دوراً فيه رضا الله وسرور زوجها وأبنائه الحسن والحسين وبناته زينب وأم كلثوم.

وإذا سألناها لماذا هكذا أنتِ في بيت زوجكِ؟

لعلها كانت تقول: أريد رضا الله، وشفاعة محمد رسول الله ﷺ، وأن أسمع الزهراء في يوم القيامة تقول لي: أحسنتِ يا أم البنين، ما قصرتِ مع أفلاذ أكبادي . . . بيّض الله وجهك!

هكذا كانت الزوجة التي اختارها الإمام علي عليه السلام في سياق عدة زوجات تزوجهن بعد زوجته الأولى فاطمة الزهراء عليها السلام التي غيبتها مظالم الحزب القرشي عن الحياة وهي لم تكمل الثامنة عشرة من شبابها . . .

هكذا كانت أم البنين . . . صديقة حميمة للزهراء عليها السلام . . . ومثالاً صادقاً للتفاني والحب والإخلاص ونكران الذات والعمل الدؤوب في سبيل الله.

عاشت في المدينة المنورة وانتقلت إلى الكوفة ثم عادت إلى

المدينة، مسيرة كلها طاعة للزوج المطيع لله، لا تهدر على زوجها ولا زوجها كان يظلمها ليستحق الهدرة!

صفات أم البنين، كانت هي الصفات التي تسعدها وتسعد زوجها علياًعليه السلام، وكانت تتمنى صفاتها لكل امرأة مسلمة في كل الأزمنة.

أم البنين ... وحوار مع اليتيمة

كانت أم البنين هذه السيدة الجليلة تحادث أيتام الزهراء وتجلس معهم لتشبعهم بحنانها وعطفها وحبها. وذات يوم لاحظت أم البنين على وجه الطفلة أم كلثوم شرود البال وهي تنظر إلى زاوية من البيت! فقالت لها: فيم تفكرين يا ابنتي؟

أم كلثوم نظرت ثم تأوّهت ثم هكذا نطقت بصوت الطفلة البريئة: كانت أمي الزهراء تجلس هنا يا خالة، وتمشّط شعري وتقبلني وهي تقرأ لي من القرآن آيات بصوتها الخاشع، وتروي لأختي زينب أقوال جدنا رسول اللهﷺ، وتنشد لنا أشعار الإيمان والأمان وتزرع في قلوبنا روح الأمل بالخير والجنان . . .

آه . . . يا خالة، كانت أياماً حلوة . . .

أسألك يا خالة: لِمَ ماتت أمنا؟! إنها لم تكن كبيرة السن يا خالة!

أم البنين (وهي تمسح دموع عينيها بطرف كُمّها) وقد اختنقت الكلمة في حنجرتها، وحاولت أن تكلم الطفلة اليتيمة ولو ببعض كلمات متقطعات. ولكنها ضعفت عنها تماماً وانهارت بين يدي اليتيمة أم كلثوم.

وعادت أم كلثوم تسأل الخالة أم البنين: ليس مهماً خالتي أن تقولي شيئاً، فأنا أعرف كل شيء. إنهم ضربوا أمي وعصروها بين الباب والجدار (وأشارت الطفلة إلى المكان) وما رأينا ونحن مذعورين إلا نادت أمنا والباب يحترق والدخان يتصاعد: يا أسماء يا فضة هلمّوا فقد أسقطوا جنيني.

وأجهشت أم البنين بالبكاء شديداً، والطفلة أم كلثوم تخطب فيها وهي تنعى مصيبة أمها: إيه يا خالة، ما كنتِ معنا، فقد ذُعِرْنا وما كِدنا ندرك عمق الحدث والمصيبة وحجم الكارثة التي وقعت بعد وفاة أبيها جدنا محمدﷺ ثم تمرضت وماتت خلال تسعين يوماً.

صدّقي يا خالة! إنها ماتت حزينة مظلومة مضطهدة وساخطة على الذين ظلموها.

أم البنين ـ وبكاؤها ارتفع حدّه ـ: عزيزتي يكاد قلبي يتقطع وفؤادي يتمزق كلما أسمع مقطوعة من هذه الظلامات التي لو

كانت واحدة منها تُصَبّ على امرأة أخرى غير أمك الطاهرة لابتلعتها من هذه الحياة قبل أوانها. إن أمك الزهراء يا حبيبتي كانت أسوة في الإيمان بالله الحق، وقدوة في الصبر عليه، كاملة فيها دون أقلّ نقص. وستبقى أمك فاطمة رمزاً خالداً للحق وعنواناً راشداً للصبر وليس للنساء بعدنا فحسب بل للرجال أيضاً، فلا تحسبي يا ابنتي أن الله يضيع أجر المحسنين، فأمك (فاطمة) الزهراء العظيمة قد اختارها الله سيدة المحسنين جميعاً والمحسنات.

أم كلثوم: كلامكِ هذا يا خالة يذكّرني، أننا لما كنا نجلس هناك (وأشارت إلى ساحة البيت) تقول وتقول أُمّنا إن أخانا الجديد سوف نسميه محسناً، ولكنه مات يا خالة . . . قصدي أنهم قتلوه في بطن أمنا يا خالة! (وبكت أم كلثوم ولم تقل كلمة أخرى).

أم البنين، سيطرت عليها الدموع الساخنة فلم تستطع شيئاً من الكلام أيضاً ونظرت بصعوبة بالغة إلى الطفلة اليتيمة أم كلثوم وإذا بها تبكي هي بدورها. فما كان منها إلا أن تمسح على رأسها وتحضنها، مرّت دقائق وهما هكذا حتى حضرت السيدة زينب!

السيدة زينب: ما بكما؟ خيراً يا خالة! حبيبتي أم كلثوم

أخبريني عن الحدث؟ هل حصل ما يزعجكما يا أحبتي؟

أم كلثوم: لا يا سيدتي . . . كنا نتذكر أمنا فاطمة الزهراء، ونتكلم ما أعظمها كانت، وما أسرع موتها يا أختاه، أليس هذا يحرق القلب يا زينب؟

السيدة زينب: صحيح ما تقولين يا أُختي ولكن لله في الأمور حِكَماً ودروساً تمتد على مساحةِ الزمان كلّه. نحن قوم شرّفنا الله بكل الفضائل وطهّرنا من كل الرذائل، فلا نقول حين المصائب إلا ما علّمنا الله عز وجل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ هكذا أدّبنا جدنا محمدﷺ.

عزيزتي يا أم كلثوم قومي حبيبتي وتوكّلي على الله ودعي الخالة أم البنين لا تحزن كثيراً في بيتنا، فإن لديها ما يكفيها من الأمور التي تحمّلت مسؤوليتها ونحن لها شاكرين.

أم البنين (وهي تقبّل أنامل السيدة زينب): بأبي أنتم وأمي ومالي ونفسي أيها الأطهار من آل بيت محمد المختار . . . لي الفخر والاعتزاز أن أخدمكم طول بقائي معكم يا سادتي الأبرار.

إن أم البنين تفديكم بكل إخلاص ما تملكه من كل غال ورخيص.

أم البنين ... عزيزة الزهراء عليها السلام

كانت شديدة الولاء للمضطهدة الشهيدة.. الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء أم أبيها ـ كما سمّاها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله ـ.

والولاء الشديد تعرّفه أم البنين هكذا:

«أن يفكر الموالي الحقيقي فيما يُدخِل السرور على قلب المولى. فيحاوِل في سلوكه تجنّب كل ما يسخطه ويؤذيه، وبمقدار هذه المحاولة يبذل جميع مقدوره في سبيل ما يحبه محبوب المولى. فأنا أشعر بالتقصير نحو الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله رغم كل ما أقدّمه إليها».

ونسأل السيدة أم البنين... ماذا يجعل الزوجة الثانية للرجل أن ترقى إلى مستواك هذا في الموقف الإيجابي من ضرتها، علماً أن الضرّات معروفات في الغالب أنهن يضررن بزوجات الزوج من منطلق الغيرة والحسد والأنانية وحب الذات. وبعضهن يتحسّسن حتى بالنسبة للزوجة المتوفاة إذا ما ذكرها زوجها بالخير عندها ومدحها أمامها، فما هو السر عندكِ

يا أم البنين حيث تجاوزتِ هذه الرذيلة وذُبتِ في حب الزهراء وصرتِ عزيزتها الغالية لما وجدتكِ لأبنائها كالأُم المشفقة والمتفانية في راحتهم؟

أم البنين تجيب: ليس لغير الزهراء فاطمة عليها السلام مقام ما للزهراء من مقام عند الله. هذه المعرفة قد عرفتُها منذ عرفتُ الإسلام الحق الناصع. وأما غير الزهراء القبول من زوجات علي أمير المؤمنين عليه السلام، ليس من حقي الاعتراض على حقوقهن كإنسانات، لي ما لهن وعليّ ما عليهنّ، فإن الإسلام حينما أحل للرجل العادل أن يتزوج مثنى وثلاثاً ورباعاً فمن أنا ومَن غيري ليحرّم ما أحله الله. فالحق واضح في هذه المعادلة وإنما يكابر عليه ويعانده الإنسان الأناني الذي أعمى حبّه لذاته وللذّاته الفانيتين بصره فلا يرى ذلك الحق.

نعم . . . المرأة مثلي يجب عليها القبول بالحق ولكن بشرط واحد وهو أن يكون زوجها مثل علي بن أبي طالب في العدل، وبالطبع فإن المثلية هنا نسبية، إذ لن يكون أحد مثل علي أمير المؤمنين عليه السلام أبداً. ولكن على المرأة الصالحة أن تعين زوجها حتى يعدل، وهذا جزء كبير منه يعود إلى توازنها النفسي، فإذا اتّصفت به تعاونت مع زوجها في العدل ورعاية الحقوق الزوجية والشراكة المشروعة وإلا دمرت حياتها وحياة زوجها ومَن دخلت في الشراكة.

نسألك يا سيدتي يا أم البنين سؤالاً آخر، هل تسمحي؟

أم البنين: بالتأكيد.

ما هو السر المكنون في موقفكِ المتواضع. هذا من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وبقية زوجات زوجكِ الإمام علي عليه السلام كأُمامة وليلى الدارمية وأسماء بنت عُمَيس الخثعمية وخولة الخثعمية وأم حبيب بنت ربيعة وأُمّ سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأكثر من عشر زوجات للإمام عليه السلام من الإماء اللواتي حرّرهن وتزوجهن في حالات متفرّقة طول حياته من بعد الزهراء عليها السلام؟

أم البنين: نحن في زماننا نعيش القناعة وما دام العدل في الرجل فإننا لن نخاف الظلم، كيف والإمام علي عليه السلام مثال العدل الكامل، هذا أولاً، وأما ثانياً فإنه ما دام الله والرسول حكما بجواز ذلك للرجل العادل ومن أجل الستر على النساء العفيفات وحفظ المرأة من الانزلاق وتفسيد المجتمع فلا يصح للمرأة أيّا كانت وفي أي زمان أن تقول فوق حكم الله والرسول قولاً، فماذا تعني الحسّاسية للمرأة وضديتها لضرّاتها إلا بُعدها عن حكم الله ورميها لزوجها على ظلمها وظلم امرأة مسلمة أخرى، لها الحق في الحياة المشتركة مع رجل يريد العدل بين زوجاته، فالمرأة الغائرة مسؤولة أمام الله ومحاسبة، كما الرجل

الظالم لزوجاته يكون مسؤولاً أمام الله ومحاسباً.

وبالنسبة لي فكل زوجة لعلي زوج البتول عليها السلام هي صديقتي الحميمة وليس موقفي منها إلا التعاون على البر والتقوى، لنساعد بذلك إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام على مهامه ومسؤولياته الكبيرة في حياته الكريمة.

وأما موقفي بالذات نحو سيّدتي ومولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام فله تميّزه الخاص، لأنني أعتقد بأن الكون والأفلاك والحياة إنما خلقه الله لأجلها، فلولاها لما كانت الدواعي لخلق الإنسان والكون والحياة، فارتبطت فلسفة الوجود بوجودها، ليُسعِد الله بولائها أُناساً ويشقي الله بعدائها أُناساً.

وكما قلت لكم: هذه عقيدتنا، فنحن بالقرب من بيت النبوة ومعدن الرسالة قد سمعنا هذا الحديث وآمنّا به وحفظناه للأجيال بعدنا: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، فتكون أول مَن تُكسى، وتستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء لم يستقبلن أحداً قبلها أو أحداً بعدها على نجائب من ياقوت أجنحتها وأزمتها من اللؤلؤ، عليها وسائد مِن دُرّ . . . فيجوزون بها الصراط حتى ينتهون بها إلى الفردوس، فيتباشر بها أهل الجنان . . .

وفي بطنان الفردوس قصور بيض وقصور صُفر، فتجلس على كرسي من نور ويجلس حولها ويُبعَث إليها مَلَك لم يُبعث إلى أحد قبلها ولا يُبعَث إلى أحد بعدها، فيقول: إن ربكِ يُقرئك السلام ويقول: سليني أعطكِ.

فتقول: قد أتمّ عليّ نعمته وهنّأني كرامته وأباحني جنته أسأله ولدي وذريتي ومَن ودَّهم بعدي وحَفَظهم بعدي.

فيوحي الله إلى الملك من غير أن يزول من مكانه: أن سُرّها وبَشّرها أني قد شفّعتُها في ولدها ومَن ودَّهم بعدها وحفظهم منها.

فتقول: الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن وأقرّ عيني.

وتروي لنا أم البنين من مقام الزهراء فاطمةعليها السلام حديثاً آخر عن أبي ذر الغفاريرضي الله عنه قال: رأيت سلمان وبلال يُقبلان إلى النبيصلى الله عليه وآله، فقال له سلمان: يا مولاي سألتك بالله إلا أخبرتني بفضائل فاطمةعليها السلام يوم القيامة؟

قال: فأقبل النبيصلى الله عليه وآله ضاحكاً مستبشراً ثم قال:

والذي نفسي بيده إنها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقةٍ رأسُها من خشية الله وعيناها من نور الله وخطامها ـ أي الزمام ـ من جلال الله وعنقها من بهاء الله وسنامها من رضوان الله . . .

جبرائيل عن يمينها وميكائيل عن شمالها، فيجوزون في عرصة القيامة فإذا النداء من قِبَل الله عز وجل: معاشر الخلائق غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم، هذه فاطمة بنت محمدﷺ نبيكم وزوجة علي إمامكم وأم الحسن والحسين.

فتجوز الصراط وعليها ريطتان (ملاءتان) بيضاوان، فإذا دخلت الجنة ونظرت إلى ما أعدّ الله لها من الكرامة قرأت:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[1].

فيوحي الله إليها:

يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي مِن قبل أن أفلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أُعذّب محبيكِ ومحبي عترتكِ بالنار.

هذه فاطمة . . . فهل يتردد إنسان عاقل في الولاء لنهجها والمودة لنبيها والسير إلى رضاها؟

إذن . . . هل تعتقدي يا أم البنين أن السر في شخصيتك

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

العزيزة عند السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كامن في هذه القناعة الإيمانية التي تمتلكينها نحو مقام الصديقة الزهراء؟

أم البنين: يقيناً.

أم البنين ... أبناء وأم مسؤولة

العباس بن علي بن أبي طالب، ولد في العام (٢٦) من الهجرة النبوية الشريفة، وكان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم أبناء علي وفاطمة قد غمرهم فرح وابتهاج وسرور بهذا الوليد ذي الابتسامات العريضة والحركات اللطيفة والجمال المضيء والقمر التمام. ولقد أدخل هذا الطفل (العباس) نشاطاً وحيوية جديدة على إخوته من أبيه، وكم كانت تفرح أم البنين وهي تنظر إلى الأبناء (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم) يداعبون أخاهم العباس. وتقول في نفسها: إلهي ما أسعدني إذ جعلتني في هذه الدار المباركة بأهلها الطيبين الأبرار، وبكل ذرّة استوت منها وسبّحت مع ساكنيها بأحسن الأذكار. إلهي لك الشكر كلّه في آناء الليل وأطراف النهار.

حقاً كان العباس آية في الجمال والبهاء والنورانية والهندام والحركة، قد أحبّته أمه حبًّا شديداً ولكنها عند المقارنة بأبناء فاطمة كانت تفضّلهم عليه بلا أدنى تردد. وهذا يعني قمة الإيثار

والصدق والإخلاص وجلد الذات وقلع الغيرة، ويعني الذوبان في الأفضلين.

ذات مرة حضنت ولدها العباس وأخذت تلاعبه وتنشد له وهي الشاعرة الأديبة في عصرها:

أعيذه بالواحد من عين كل حاسد
قائمهم والقاعد مسلمهم والجاحد
صادرهم والوارد مولدهم والوالد

وقد تسألي أيتها المرأة المسلمة: لماذا كانت أم البنين تخاف على ولدها العباس من عين كل حاسد؟

وتجيبك أم البنين قائلة: وكيف لا أخاف عليه والحسد ليس من الخرافة والأوهام، أما سمعت ربنا عز وجل قد أنزل فيه سورة كاملة تدعونا إلى الاستعاذة به عز وجل ومن شر الحسد؟ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[1].

وتواصل أم البنين في جوابها على سؤالك أنه قال الإمام علي عليه السلام:

---

(١) سورة الفلق، الآيات: ١ ـ ٥.

«لو كشف لكم الغطاء لعرفتم أن أكثر موتاكم من الحسد».

ثم وكيف لا أخاف على ولدي هذا القمر المنير وأنا المسؤولة عنه أمام الله وأبيه عليٍّ إمامي وسيدي؟

وكيف لا أخاف على الأمانة وأنا أريد إعدادها للنهضة الحسينية القادمة والراية الخفّاقة على مدى العصور كلها؟

فأنا المسؤولة أيضاً أمام الأمة والتاريخ والإنسانية لأُقدّم لها بطلاً يزهر كالقمر في كل الميادين وميدان الجهاد لمقارعة الفساد؟ وكيف لا أخاف عليه وأبوه علي سيدي ومولاي قد عقد عليه آمالاً عظيمة ونظّم حياته الزوجية معي من أجل دوره القادم؟

وتضيف أم البنين قائلة: إن العباس ابني هذا سأربّيه ليكون حامي الحمى وحامل راية الهدى وصاحب الغيرة والشهامة مثل أبيه الإمام علي عليه السلام الذي خرج مع الفواطم والنساء المسلمات إلى المدينة فلحقه كفّار قريش ليقتلوه ويسلبوا النسوة منه فشدّ عليهم الإمام علي عليه السلام وقتل منهم الكثير وهربَ آخرون والإمام يرتجز في بطولته وإبائه:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت أن لا أعبُدُ غيرَ الواحد

حقاً إن أم البنين كانت امرأة واعية لمسؤوليتها تجاه أبنائها والأمانات الغالية المودعة بيدها، هكذا كانت تنظر إلى الحاضر

والمستقبل البعيد. فهي تستحق الثناء والمدح وأن يعطيها الله من الكرامة ما أعطاها، وأن تكون رسالة للمرأة المسلمة وبكل اللغات في كل العصور.

أمّ البنين ... ما هو السرّ في قدسيتها؟

أوَ تدرين السرّ المكنون في هذه الشخصية العظيمة، وأنه لماذا الحوائج تُقضى بإذن الله تعالى عندما يُعقَد النذر باسمها أو يتم التوسّل بمنزلتها عند الله سبحانه؟

نعرض هذا السؤال عليها، لعلّنا نسمع الإجابة من لسان حالها، فهي أبلغ كلاماً وأحسن بياناً وأصدق لساناً.

أم البنين ـ هكذا تقول في الإجابة ـ : إنّه لسؤال مُحرِج عِلْمُ ذلك عند الله، ولكنّي أنصح الأمهات والفتيات المسلمات أن يخلصن في أعمالهن الصالحة كلها، ومن الإخلاص أن يكتسبن صفة الإيثار ويتركن العناد والجدل لإثبات الوجود. ومن الإخلاص أن يحبّ الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، ومن الإخلاص اكتساب صفة الرضا والصبر والتسليم لإرادة الله وتفويض الأمر إليه، ومن الإخلاص صفة القناعة والنظر إلى أجر الآخرة، نعم ومن كل ذلك يأتي الخير كله من الله تعالى وحده.

ونتقدم خطوة أخرى إلى هذه السيدة المجلّلة لنطلب منها الإفصاح في إجابتها عمّا تميزت به عن غيرها من زوجات الإمام علي عليه السلام بعد فاطمة الزهراء عليها السلام. فلا بد من التوضيح، سيدتي، أخبرينا ما هو سر قدسيتك الخالدة؟

فأجابتنا بذات الكلام وبثقة كاملة: ابحثوا عن سر عظمة وقدسية أولياء الله لتجدوه في إخلاصهم لله فقط.

وهنا رجعنا نتأمل، فإن من الإخلاص أن لا يفصح المخلص عن سرّه. فإذن لا يصح منّا الإصرار على الفضولية، رجعنا نتأمل وإذا بالحقيقة قد بانت، ولعلها هي السر الذي سألناها عنه!

نعم . . . إن من الصعب على كل أم أن تري ولدها العزيز وترافق نموّه في طول الساعات والأيام والأسابيع والشهور والسنوات حتى تصل به إلى عمر السادس والثلاثين وهو قمة الفتوة في المرحلة الشبابية، وهي منذ البداية تعلم علم اليقين أنها تُعِدّ ولدها للشهادة! في الوقت الذي أمهات الشهداء لا يعلمن مصير أبنائهن إلا قبل استشهادهم بقليل أو بعده فلا بد عليهن من الصبر والرضا والاستسلام حينئذٍ.

ولكن أم البنين ومع ذلك كانت فخورة بعملها وراضية بقضاء

الله، وفوق هذا كله أرادت ولدها قرباناً لسلامة الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، ثم وبدلاً عن ولد واحد ضحّت بأربعة.

انظر، كم تحمل هذه المرأة الصالحة في روحها الزكية من عظمة وإخلاص، وكم تحمل في نفسها المطمئنة من حب لأهل البيت عليهم السلام واعتقاد وإيثار. ومن أجل هذا العطاء الكبير فقد أعطاها الله تلك المكانة المقدسة.

وهل تعرفون في التاريخ من بعد فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام أُماً كأم البنين تربّي ولدها ستاً وثلاثين عاماً وهي على امتداد هذه الأعوام عارفة بما ينتهي مصير ولدها؟ أليس هذا من أصعب الأمور على الإنسان وخاصة على قلب الأم؟ والأصعب أن يكون ذلك من أجل الآخرين.

هكذا ضحت أم البنين وقدمت خدمتها لله وللرسول ولعلي وفاطمة وللحسن والحسين وللسيدة زينب وأم كلثوم قبل واقعة كربلاء بست وثلاثين عاماً وخلالها أيضاً.

هذا هو سر عظمة أم البنين، وأرى سرًّا آخر غير هذا قد تعاضد معه في إضفاء القدسية على شخصية هذه المرأة النجيبة ذلك هو موقفها المتواضع والمؤدّب لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وبقيّة زوجات الإمام علي عليه السلام. إذ غالبية النساء

يغيرنّ على زوجات أزواجهن فلا يُعِزْنَ الاحترام لغيرهن، بل يحيكن عليهن مؤامرة الزحزحة وسوء الظن وتحريض الزوج عليهن وبالتالي تخسر سعادتها وتخسِّر زوجها وضرّاتها حياةً هادئة تسودها عدالة التعددية الزوجية.

ولكن السيدة أم البنين كانت هي المرأة القنوعة التي داست أنانيتها وسلّمت بحلال الله ما دام زوجها قمة في العدل بين زوجاته المتعددات.

نعم . . . إن التجرد عن الذات والترفع عن توافه الحياة يثمر عند الله مكانة مرموقة لا يراها إلا المخلصون والمخلصات.

وهكذا فقد كانت أم البنين هي المرأة المجاهدة بمعنى الكلمة، إذ جاهدت نفسها وكافحت ضد أنانيتها وقارعت هواها وسيطرت على عواطفها وأغضبت الشياطين كلها من أجل الحسين الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، حسين سبط من الأسباط. أحب الله من أحب حسيناً».

أجل . . . فهل الله يترك هذه المرأة المضحية للحسين بلا مكافأة في الدنيا والآخرة وهو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]؟

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

وهل يتركها من غير عطاء أكبر وهو الذي علّمنا في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾(١)؟

وكيف يتركها من غير جائزة وهو القائل أيضاً: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾(٢)؟

والآن أما تستغرب أيها القارئ العزيز والقارئة العزيزة من عقولٍ تشك في كرامات أم البنين هذه؟

وما الذي يصعب على رب العالمين وهو بيده كل شيء أن يجعل شيئاً من عطائه لمن يتذكر هذه المرأة الكريمة ويُقسِم بها لقضاء حوائجه كرامةً لوجهها وتكريساً لقدويتها في الأمة التي أخذ فتياتها يقتدين بنجمات العالم المتفسخ؟

أبداً . . . ليس في ذلك بدعة وقد جعل الله الإعجاز والكرامة في ما سخّره للنبي سليمان عليه السلام حتى عِفريتٌ مِن الجن قد أعلن استعداده بتحضير عرش ملكة سبأ في طرفة عين. فهل عفريت الجن أو من كان عنده علم الكتاب في بلاط النبي سليمان كان أقدس عند الله من امرأة أخلصت جميع نواياها لله رب العالمين؟ وقدّمت كل ما تملك لخدمة الدين ومودة ذوي قربى الرسول الأمين؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

وإن في قصص المتوسلين إلى الله في حوائجهم بمنزلة أم البنين، وهي أكثر من أن تُحصى وتُعَد خير الأدلة التي لا نعيش لحظة شك فيها كي نلتمس المزيد من الأدلة والشواهد.

وإني لأعتقد جازماً بهذا السر أيضاً في عظمة الإمام الحسين عليه السلام وخلود ذاكره على مرّ القرون شامخاً متلألئاً، ذلك هو تنازله عن روحه لله الخالق، وتحمّله أشد الآلام وشتّى أنواعها لأجل الله دون ذرة سخط وشكّ وتراجع وندم. وهكذا فأعطاه الله ما يريد، بل ويعطيه المزيد. ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[1].

وكأني هنا بالسيدة أم البنين تروي لنا حديثاً سمعته من زوجها الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إن لله عباداً عاملوه بخالصٍ من سرّه، فَشَكَرَ لهم بخالصٍ مِن شُكره، فأولئك تمُرّ صُحُفهم يوم القيامة خُرَّعاً، فإذا وُقفوا بين يديه ملأها لهم مِن سرّها أسرّوا إليه».

ونعود مرة أخرى إلى أم البنين لنسألها عن رأيها في سِرّ قدسيتها ومكانتها عند الله؟

وإذا بها تجيبنا: الله العالم بحقيقة الأمور، ولكن لا تنسوا:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

١ ـ إخلاص النية لله فقط.

٢ ـ التنازل عن الذات وحب الأنا.

٣ ـ التسارع إلى كل عمل صالح وخاصة في خدمة الناس.

٤ ـ الأخلاق الطيبة مع الجميع دون استثناء.

٥ ـ الاهتمام بتربية الأطفال وإعدادهم على روح المسؤولية والإيثار ومبادئ التفكير في البناء والتقدم وسلوك الأبرار.

وتذكرت أم البنين هنا حديثاً عن النبي الأكرمﷺ هل لكِ من إضافة نستنير بها سيدتي؟

أم البنين: نعم تذكرت أن رسولنا العظيم كان يقول: «العقل ثلاثة أجزاء فمن تكون فيه واحدة فهو العاقل ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حُسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الظن بالله».

فالله المقدّس المطلق والذات التي لا ولن تمسّ، منه عز وجل يستمد المؤمنون والمؤمنات هداهم واستقامتهم على خط الهداة.

أم البنين ... مع الإمام علي عليه السلام

المكان، مساحة قليلة من أرض الكوفة في العراق. والزمان هو ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة (٤٠) من العام الهجري، وأما الحديث الذي هدّ أركان السماء واهتزت به الأرض، فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام لصلاة الليل، ونظر إلى السماء نظرة الراحلين إليها وقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون. ثم أضاف لأهل الدار، وتسمعه ابنته السيدة زينب بكل وجودها وشعورها: «والله ما كَذِبتُ ولا كُذِّبتُ وإنها الليلة التي وُعدتُ بها».

ولا أدري أين كانت زوجته أم البنين حين تمتم الإمام بهذه الكلمات؟

هل كانت واقفة عنده تسمع كيف يقرأ زوجها على نفسه المطمئنة آية الوداع؟ أم كانت جالسة على سجادتها تتهجد لله في صلاة الليل وتدعو لزوجها بالخير والنجاح؟

لا أدري. فالتاريخ عجز عن نقل الكثير من الوقائع والحقائق، وهذا أحدها. ولكن الإمام علي عليه السلام قد أوصاها في

ساعة من تلك الساعات الأخيرة: يا أم البنين إني أوصيكِ بولدي العباس، أن يواسي أخاه الحسين ولا يتخلى عنه في أيّة ساعة عند احتدام المعسكرين.

وتقدم الإمام علي عليه السلام نحو الباب وهو يترنّم بهذه الأبيات الشعرية ويخطو مودّعاً كل الأحبة:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

إنها ساعة ما أصعبها على أم البنين التي أنجبت لعلي أمير المؤمنين من بعد العباس شبّاناً ثلاثة (جعفر وعبد الله وعثمان) فقد كانت حزينة لفراق زوجها العزيز الكريم الحنون المظلوم العابد المجاهد العالم الشجاع الوليّ المقرّب إلى الله، وكيف لا تحزن وعليٌّ هذا كان أول المسلمين إسلاماً، وأقربهم إلى سيد المرسلين نفساً وإيثاراً، وأعلمهم بالقرين والدين المبين وضوحاً ويقيناً، وأكثرهم جهاداً في مقارعة المشركين والناكثين والمارقين والقاسطين جهاداً كبيراً كبيراً.

ولقد حمل الإسلام في غربته وهجرته ودولته، وحمله في نكسته والفتن التي أحاطت بأمته، حملاً متألماً وحكيماً ومدبّراً وصابراً.

عليٌّ هذا يودّع الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وزوجاته

اللواتي وقفن إلى جانبه سنوات مظلوميته، وكانت لزوجته أم البنين مواقفها المتميزة في كل المراحل، وفي هذه المرحلة الأخيرة من سويعات الوداع أخذت تنظر إلى الحسن الزكي المجتبى مرة وهو الإمام القادم، وتلقي بنظرتها على الحسين أخرى وهو الثائر القائم، وتمسح بيدها الدموع من خدّ زينب الفتاة التي تنتظر دور الأسيرة المنتصرة، وتمرر كفّها على رأس أم كلثوم، وتمسح على رأس أطفالها وتلاحظ العباس كيف يوزّع نظراته إلى الجميع من حوله وإلى الموقف الغريب.

وتسترجع أم البنين ذاكرتها لتقرأ الأيام التي قضتها مع أمير المؤمنين عليه السلام ثم تقفز بفكرها إلى المستقبل وثقل المسؤولية من بعد إمام المسلمين.

ووقفت أم البنين وقفتها المعهودة وقالت بكل صدق: لك الحمد يا رب، أنت الذي أعطيتني، وأنت الذي أخذت، لا ... لا يكون لي إلا الوفاء والاستقامة على خط الولاء ... لا أبداً أنا المرأة التي أرادها علي عليه السلام أن تكون ثابتة القدم، صابرة على الألم ... طائعة لله في الطريق الأقوم.

لك المُلك يا إلهي تفعل ما تشاء ولا يفعل ما يشاء غيرك. هذا علي وصيّك وأبو الأوصياء يودّعني ويودّع الأولاد راحلاً إليك، وأنت خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين.

خرج الإمام عليه السلام إلى المسجد لإقامة صلاة الصبح ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟.

وكانت أم البنين تصلي وقلبها مع الله إلا دقّاته، المقسَّمة بين الله وبين ولي الله المرابط في محراب العروج إلى الله.

وعلي هناك يصلّي وقلبه مع الله ودقّات قلبه أيضاً مع الله دون شك في ذلك ولا ريب. لأنه على كامل الاستعداد وفي سلامة من دينه الذي عاش لأجله وصانه حتى الفوز الأخير إلى خير المصير.

الأمر هكذا وإذا بضربة السيف المسموم من يد اللعين ابن ملجم الخارجي (بل الأموي) تفتق رأسه الشريف، ويقع أمير المؤمنين في المحراب مفلوق الرأس والجبين، وتسيل الدماء على وجهه وصدره. وهو يطلق نداءه الخالد للبشرية: (فُزْتُ ورَبِ الكعبة) (فُزْتُ ورَبِ الكعبة) فزتُ والله فزت، فسوف لن أراكم أيها التعساء المتخاذلون ولن أراكم يا من ملئتم قلبي قيحاً، فلا أراني الله وجوهكم بعد هذا، وسوف لن ترون أحسن مني أيها الجاهلون. فُزتُ والله، وقسماً برب الأرض والسماء، وقسماً بالكعبة بيت الشرفاء، قسماً بها يوم وُلِدْتُ فيها كريماً وقُتِلْتُ لكرامتها شهيداً.

كأني بأم البنين قامت من سجادة صلاتها وخرجت إلى ساحة الدار ويديها على رأسها إذ سمعت دويّ السماء، نداء نداء نداء:

(تهدمت والله أركان الهدى، قُتِلَ عليٌّ المرتضى، قَتَلَه أشقى الأشقياء).

فأسرعت أم البنين تحتضن اليتامى وتمسح على رؤوسهم وتمسح قطرات دموعهم وتوصيهم بالصبر، وكان العباس وهو ابن الخامسة عشرة آنذاك يبكي متجلّداً وقبضاته الغاضبة تأتمر من قلبه المؤمن بالقيادة العلوية تترقب الأوامر الحَسَنِيّة.

وأما الحسنان فقد هرعا إلى المسجد يبكيان بكاء الصامدين أبداً، وجلست السيدة زينب عند الباب تنتظر بقية الواجبات، ومعها أم كلثوم الصغيرة في سنها والكبيرة في شخصيتها، فلقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين الحق والباطل، والفضيلة والرذيلة.

ولم تكن قد بكت أم البنين على أحد مثل بكائها على أمير المؤمنين علي عليه السلام ولم يكن بكاؤها من غير بصيرة كما هو بكاء بعض الباكين من شيعته، وفرق بين بكاء مع المعرفة بالحق وحق المعرفة، وبين بكاء مع الخلق منها.

وبقيت أم البنين حزينة على فقد زوجها حزناً واعياً، وأضحت صابرة على فراقه صبراً جميلاً.

ولم تتزوج بعده أحداً، بل لم تفكّر في ذلك أبداً، فقد أوقفت نفسها لبيت علي وأبناء عليّ وأحفاد علي، ونذرت نفسها لترجمة رسالة علي حرفياً قدر الإمكان حتى توافيها المنية وهي أم البنين وتلتحق بركب الصالحين والصالحات وهي نفسها لن يغيّرها زمن الهزائم السياسية وفراعنة المسلمين!

أم البنين ما فتئت بعد الإمام علي عليه السلام تذكره وتبكي عليه وترعى ودائعه عندها، وهي تتذكر فضائل زوجها ومناقبه وما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في منزلته وتذكّر الناس بها من حولها. وكلما تتذكر مثل قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«من أحبك يا علي كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة» كانت تزداد شوقاً إلى درجاتها في الجنة، أليست الجنة تحت أقدام الأمهات؟ فكيف إذا كانت في طليعتهن أم البنين.

وبعد سنوات الهزّات السياسية واستشهاد الإمام علي عليه السلام عادت القافلة العلوية من الكوفة إلى مدينة الرسول وليس فيها عليٌّ زوج البتول. وكان أمير القافلة هذه المرّة هو الإمام الحسن

ابن علي عليه السلام وكان وزيره أخوه الحسين بن علي عليه السلام وكان في طليعة الحماية والحرّاس قمر بني هاشم . . . إنه العباس وما أدراك ما العباس.

وكانت النساء والأطفال . . . وبينهن أم البنين، كل واحد يعرف موقعه ودوره ومسؤوليته، وكل واحدة أيضاً تعرف موقعها ودورها ومسؤوليتها. أليس لأن القافلة ذات رسالة؟ ولا حياة ولا عزة ولا كرامة لقافلة ليست لديها رسالة الحياة والعزة والكرامة.

نعم . . . هكذا سنّة الحياة عند الصالحين والصالحات، يوم هنا ويوم هناك والساعات تزحف نحو النهايات والعاقبة للمتقين وهم الذين لا يهمهم شيء في الدنيا إلا ما رسمه لهم رسول رب العالمين، إذ قال محمد صلى الله عليه وآله:

«من أعطي أربع خصال في الدنيا فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظّه منها: ورع بعصمة عن محارم الله، وحُسن خُلق يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة».

فما أسعدك يا علي وقد جمعت كل هذه الخصال . . . وما أسعد زوجتك أم البنين معك يا خير الرجال.

أم البنين ... عند جنازة الحسن عليه السلام

تلاحقت الأحداث السياسية والهزّات الاجتماعية والفكرية بعد الإمام علي عليه السلام وارتطمت مسيرة الأمة بصخور أموية ومؤامرات هدّامة وكان الإمام الحسن عليه السلام من بعد أبيه سيد المواقف الصعبة والمهام الثقيلة.

وعن أم البنين في هذه الحقيقة الزمنية، يكفينا أن نعرف بأنها عاشت بهموم الإسلام وتجرعت الآلام وهي ترى المظلومين من آل محمد وترى الظلاّم، أنفجر باكياً.

وأما في ليلة السابع عشر من شهر صفر سنة (٤٩) الهجرية فقد جاءت باكية تنادي أولادها، يا عباس يا قمر بني هاشم، وأنت يا قرة عيني عبد الله (المسمى باسم والد النبي) وأنت يا جعفر (المسمى باسم عمي جعفر الطيار)، وأنت يا عثمان (المسمى باسم الشهيد عثمان بن مظعون الصحابي الجليل صديق الإمام علي)، قوموا يا أحبتي . . . انهضوا فهذا أخوكم وإمامكم وولي أمركم الحسن بن علي عليه السلام قتلوه مسموماً،

اذهبوا إلى داره واعملوا ما يأمركم سيّدكم الإمام الحسين عليه السلام.

وحضروا جميعاً، وكان العزاء قائماً في بيت الإمام الحسن عليه السلام وهو في الزمن الأخير. وكان الحسين ينظر إلى أخيه ويبكي ويسأله عن قاتليه. والحسن يقول: إن يومك في كربلاء أكثر ألماً يا أخي ... فلا يومٌ كيومك يا أبا عبد الله. آه ... يا ويل للظالمين.

وطارت روحه الكبيرة من قفص بدنه الشريف والعبّاس بين يديه.

حملوا الجنازة إلى ثرى جدّه الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وفجأة أمطر الأوغاد جنازة سبط الرسول بوابل من السهام وأصابت بعضها جنازة الحسن المظلوم وبعضها أصابت المشيِّعين، آه ... يا لها من مصيبة فوق المصائب. كم بلغت درجة الوحشية في الذين انسلخوا عن وصية الرسول، أين المودّة في القربى يا مسلمون؟!

فصاحت نساء الفضيلة وبنات الرسالة وكان الرعب يخيّم على قلوب الأطفال من هول الجريمة ... لأول مرة في التاريخ، تُرمى جنازة مرفوعة على الأيدي بسهام مجنونة! يا لها من خساسة!

عند هذا الحدث الرهيب كان العباس ـ وهو الشاب في عمر الرابعة والعشرين ـ يرافق أخاه الحسين عليه السلام ويحرسه كتفاً بكتف وروحاً بروح، هنا لم يُطِق العباس صبراً . . . فأمسك مقبض سيفه ليهاجم الأوغاد، فأخذ الإمام الحسين عليه السلام بيده وقال: قد أوصاني أخي الحسن أن نتمالك إذا ما حدث مثل هذا تحت جنازته، وكأنهم كانوا يتوقعون حدوثه من أجلاف بني أمية، فصبر أبو الفضل بأبي هو وأمي على طاعته للقيادة!

وهذه لعمري من مواقف الأبطال أصحاب المبادئ والقيم والثورية الموجهة بأحكام الشريعة وطاعة القيادة الرسالية. فلا للعواطف المجرّدة عن العقل والحكمة، ولا للحماسيات المفرَّغة عن الأخلاق والإنسانية، ولا للسياسات الخالية من القيم الدينية. تلك هي نسخة طابقت أصلها حينما أغمد الإمام علي عليه السلام سيفه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عملاً بالوصية المحمدية.

أم البنين تتكلم: آه . . . لقد رأيت الحدث، وكدت أصيح بولدي العباس أنِ اهجم دفاعاً عن الطيبين من أبناء علي وفاطمة، اقتل . . . دمِّر . . . ولا تبقي لهم باقية، ولقد عرف ولدي ما هو الواجب عليه حينما مسك السيف ليهاجم، ولكن الوصية والطاعة كانتا هما الأوجب.

تقول لنا أم البنين: ليتكم يا أهل الغيرة والشهامة كنتم

تشاهدون ذلك اليوم الحزين، كم كان أليماً على بني هاشم وشيعة آل محمد المستضعفين.

ونقول يا أم البنين: إننا نعيش اليوم زماناً مثل زمانك، وكما وصفه زوجكِ أمير المؤمنينعليه السلام: (صار الفسوق في الناس نسباً والعفاف عجباً).

أم البنين: أجل فلا بد من فوارق بين معسكر الأبرار ومعسكر الأشرار، أليس لكل منهما أخلاقياته وسلوكياته. وإنما على الأم الصالحة أن تزرع في أفئدة أبنائها حب الأبرار وأخلاق الصالحين. هكذا أنا فقلتُ في تربية ولدي العباس الذي كان نعم المرافق لأخيه الحسين ابن بنت النبيصلى الله عليه وآله. أليس الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[1]. فهل أنتم كذلك يا نساء المسلمين؟

أم البنين ... في وداع الحسينعليه السلام

أم البنين تحكي لنا: وحانت ساعة أخرى من أصعب ساعات حياتي أيها الناس. إنها الساعة التي توشك بالكارثة والمصيبة العظمى، نحن اليوم في أواخر عام (٦٠) الهجري،

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

وهذه قافلة الحسين سبط النبي تستعد لتحويل وجهة التاريخ وتأسيس انعطافة خالدة لمفاهيم الحرية والحركات التحررية. لا أدري كيف أودع الحسين في هذه الساعة، وكيف أفارق زينب وأم كلثوم، وكيف أنظر إلى قافلتهم وهي تخرج من مدينة جدهم إلى غير عودة، آه . . . وقد تعود بلا رجالها الأشاوس أو قد تعود وعلى الرماح رؤوس الأماجد.

إلهي . . . إني أرى في الأفق مصائب تلوح على آل محمد بلون الدم. ها قد يأتي الحسين الآن ليقول: أمّاه . . . وداعاً. فماذا أقول أنا؟

إلهي كيف أنظر إلى وجهه، كيف أودّعه، كيف وبماذا . . . لا أدري!

إن الحسين قلبي الذي أطمئن به، ونبضي الذي أتحرك به، وحياتي التي أشعر بها الوجود، إنه معنى وجودي، إنه إمامي وسيدي وأمير مسيرتي. فكيف أجلس ليأتيني، أبداً، أنا أذهب إليه وإلى ابنتي زينب وأختها أم كلثوم، ولا أقول وداعاً يا أحبّتي، بل أقول يا ولدي العباس هذه وصية أبيك علي أمير المؤمنين . . . فجاهد دون الطيبين، ناضِل دون أخيك الحسين نصير المحرومين، ودافع عن أختك زينب وأم كلثوم، وقاتِل بكل ذرات وجودك حتى آخر رمق من حياتك . . . وأما اللقاء يا

ولدي فعند كوثر الزهراء. هي برأس الحسين وأنا بيديك المقطوعتين، والحَكم العَدل هو الله. وهنالك يخسر المبطلون لا محالة.

وجاءت أم البنين إلى قافلة المهاجرين لله .. للحق .. للحرية. ودنت إلى ولدها العباس وإخوته حوله يسمعون: أولادي الأعزاء .. وأنت يا ولدي أيها القمر الزاهر للنجباء ... ولدي أيها البطل الشامخ .. ولدي أيها العباس الباسل .. انطلقوا في ركب الحسين إلى الجنة. ولكن من أرض كربلاء الناعية. وبلّغوا سلامي لرسول الله محمد، ولفاطمة أم الحسن والحسين وحبيبتي زينب وأم كلثوم، بلّغوا سلامي لعليٍّ إمام المتقين وقائد المجاهدين، وقولوا له إن أم البنين قد وفيت بالعهد ورضيت بالقَدَر وسلّمت أفلاذ أكبادها لله أولاً، ولله آخراً، دون اضطراب في الإيمان واليقين. فهل أنت راضٍ من أم البنين؟

أجل وتقدمت أم البنين بهذه الرؤية العقائدية تودّع الحسين السبط أمير قافلة الثائرين، ومشت إلى خِدر السيدة زينب، ولا أدري ماذا أسرّت لها وماذا قالت؟؟ ومسحت على دموعها وهي تحتضن أم كلثوم وهمست في أذنها!

ثم عادت مرة ثانية إلى أولادها الأربع، العباس وعبد الله وجعفر وعثمان، فوضعت أيدي الثلاثة في يد العباس أخيهم

الأكبر، وأوصتهم بالحسين وأخته زينب وأم كلثوم وشباب بني هاشم والعيال جميعاً والأطفال خاصة أن لا تعطّلوا جهداً في سبيلهم أبداً.

فنطق العباس هنا: أماه يا أم البنين، لا تقلقي فأنا الحسين والحسين أنا، أنا زينب وزينب أنا، نفسي لنفسهما الوقى، روحي لروحهما الفِدى، عزيزتي أمّاه لا تقلقي على نصرتي للطيبين، فأم كلثوم أختي وكل الأطفال أنا ساقيهم أنا كافلهم أنا أذبّ عنهم الأعداء، لا تحزني أماه فموعدنا الجنة ولقاؤنا عند ملتقى الكوثر، عزيزتي أُمّاه شكراً لكِ على ما بذلتِ من سَهَرٍ وتَعَبٍ لتربيتي وإعدادي وتهيئتي لمثل هذا اليوم، اجعليني أُمّاه في دعائك وقولي لابني (فضل) إنّ أباك أبا الفضل كان يحبك، وطريق الحُبّ يمر من باب الحسين، فمن أحب حسيناً أحببته.

أمّاه . . . قولي للعالم واعلني للبشرية أن حب الحسين قد أجنّ الصادقين في صدقهم، والعباس في طليعتهم.

وداعاً يا أُمّاه . . . لا تحملي هم إخوتي، إنهم رجال الحياة وسوف يغلبون الموت بحبّ الشهادة، ألسنا جميعاً من مدرسة أبينا علي أمير الأمناء وإمام الأتقياء؟! ومن مدرستكِ مدرسة الشجاعة والسخاء، مدرسة البطولة والفداء، مدرسة الإيمان والوفاء، مدرسة الإيثار والعطاء، مدرسة الغيرة والنقاء . . .

إذن يا أُمّاه لا تخافي ولا تحزني ولا تقلقي ولا تبالي، لقد كنتِ لنا مدرسة كاملة وكنا لك خير تلاميذ وطلبة.

ودمعت عينها أم البنين. ومسح العباس على تلك القطرات الدرّية وقال: أُمّاه . . . مِمّ بكاؤك؟ فإني لم أقل شيئاً إلا وأنت عارفة به!

أم البنين: مِن شموخك أبكي يا ولدي، ومِن . . . (سكتت ولم تستطع أن تُكمل كلامها . . .).

العباس: ثم مم يا أُمّاه . . .؟

أم البنين: من غياب أبيك الإمام علي عليه السلام ليراك اليوم ذاك الولد الفارس الذي طالما فكّر فيك لهذا اليوم.

إنك الشبل من ذاك الأسد. أبكي لهذا النصر فأنا فخورة بك.

العباس: إنه يراني الآن يا أُمّاه . . . إنه ينظر إلينا من عُلياه، إنه معنا.

أم البنين: نعم يا عباس . . . هو بالفعل يرانا من جنّته، التي هي كل الكون ويا ليتنا نراه.

وأضافت: يا قرة عيني يا أبا الفضل العباس. والتفتت إلى

بقية أولادها، تقول وأنت يا عبد الله، يا جعفر، يا عثمان. لا تنسوا أنكم أولاد علي بن أبي طالب . . . أسد الله الغالب . . . الذي ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، فلا تنسوا يا أحبتي أنكم أولاد الذي ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

لا تنسوا يا أعزتي أنكم أولاد الذي كان بين المجاهدين الأوائل أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقَرُبتِ الأعنّة طَحَن الرحا، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز وكبشُ العراق، مكيٌّ مدني . . . من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، ذاك أبو السبطين الحسن والحسين.

فلا تألوا جهداً يا أفلاذ كبدي، هاجروا وجاهدوا ولا تأخذكم في الله لومة لائم. هكذا كان أبوكم علي الذي طلّق الدنيا ثلاثاً فما كان يرى إلا الله تعالى.

اذكروه يا أولادي، فقد كان يقول في مناجاته:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» كونوا مخلصين لله وتقدموا إلى الله

وحده، لا هروباً من النار ولا طمعاً في الجنة، بل حباً في الله ومودة لأولياء الله.

العباس لإخوته: سمعتم يا أحبتي ما قالته أمنا، ولقد طلّق أبونا علي الدنيا، وهذا هو السبب في أنها وأبنائها قد عادوا عليًّا وأبناء علي. إذن فإلى الله ورضوانه الأكبر نحن سائرون.

ونظرت أم البنين إلى جهة القافلة وإذا اكتمل الاستعداد، وحان موعد الرحيل، وجاءت الساعة الأخيرة بل دقائق الوداع الصعب مع الحسين وزينب وأم كلثوم.

وتقدمت أم البنين إلى الإمام الحسين قائلة: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، أستودعك الله يا نور عيني يا سيدي وإمامي، يا حسين.

(أجهشت بالبكاء وانقطعت عن الكلمات).

فقال لها الإمام الحسين: جزاكِ الله عنا خير الجزاء يا أُمّاه، فقد كنتِ لنا أُمًّا بارة، وداعية مخلصة.

أم البنين: (وبينما تتذكر كلمة من كلمات زوجها أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كرُم أصل الرجل كرُم مغيبه ومحضره». تقدمت خطوة أخرى وقالت على مقربة من سمع الحسين عليه السلام: اذكرني يا ولدي عند أُمّك الزهراء وبلّغها أجمل سلامي وتحياتي.

الإمام الحسين عليه السلام: لكِ ذلك، فإنه وَعْدٌ أمين. وداعاً يا أم البنين، وداعاً . . . وداعاً . . .

أم البنين (وهي تنظر إلى السيدة زينب وأختها أم كلثوم): وداعاً يا ابنتي العزيزة . . . في أمان الله أيتها العابدة المجاهدة. أنتِ عالمة غير معلمة فلا أوصيكِ بأخيكِ الحسين إلا تذكرة وإن الذكرى تنفع المؤمنين.

السيدة زينب: دعاؤكِ يا أُمّاه، ولن أنساكِ، وهل تنسى البنت أُمها الحنونة المخلصة المضحية؟ أبداً.

أم كلثوم (بكلمات محبوسة متقطعة): وداعاً أيتها الأم الصالحة.

وودّعت أم البنين أطفال الحسين وقبّلت أصغرهم سناً وهي السيدة رقية وكان عمرها ثلاث سنين. ورفعت يدها لأختها سكينة تحية الوداع، وكانت تلك الدقائق تمر على قلبها مروراً عسيراً.

وهنا عادت إلى ولدها العبّاس، فقالت له كلمتها الأخيرة ويسمعها أبناؤها الآخرون: أطيعوا إمامكم الحسين وقاتلوا دونه أعداءه . . .

قاتلوا قتالاً حيدرياً، كرّاراً، بتّاراً، ذا الفقار يا بلا هوادة، ولا تهابوا الموت يا ليوثي البواسل.

وكأني بالعباس هنا يهزّ رأسه لها وقبضته عالية، تعبيراً عن شرف انتمائه وقوة قلبه، نعم: أنا العباس أيها الناس!

ومشتِ القافلة ومشت خلفها عينا أم البنين حتى حجبتها الدموع، ومشت برجليها حتى غابت القافلة في بطن الصحراء وعمق التاريخ لتطلع بفجر جديد.

أم البنين ... تسأل عن الحسين عليه السلام

في مساحة بمقدار أرض كربلاء . . . انتهت معركة الدم والسيف في عصر يوم عاشوراء، وكان الانتصار كلّه هو للدم المتدفق في عروق الأجيال الثائرة وليخسأ الذين يقولون غير هذا.

ولقد خسر يزيد بن معاوية كل المعركة وعلى جميع الجبهات وإلى الأبد، فقد خسر حتى سلطته التي قتل الحسين لتثبيتها، وذلك بعد سنتين من الزمن المهلك فقط.

واستمر النصر الحسيني يتمدّد ويتمدّد نحو قلوب الملايين والملايين في مشارق الأرض ومغاربها، إنه الفتح المبين حقاً.

عجيب هذا الدم!

ولِمَ لا يكون عجيباً والنبي محمد ﷺ قال عنه: «إن لدم الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً». فالفتح

المحمدي لن يتوقف، والنصر الحسيني لن ينحسر. هذا هو الإسلام الحق الذي تديره يد الغيب في كل العصور، امتحاناً وابتلاءً وحكمة بالغة.

والآن نعود إلى أم البنين لنقرأ سطوراً من مواقفها الأخرى . . . ونحن على بوّابة المدينة المنورة مع ركب العائدين من كربلاء، فقد كانوا سبايا، وأيّة سبايا هذه؟ وللمرة الأولى في تاريخ الثورات تعود سباياها حاملة لواء النصر تُرى، وهل يوجد نصر أعظم من نصر المبادئ وفتح القلوب بلا حدود؟!

كتب المؤرخون عن هذا الفصل من نهضة الحسين عليه السلام: ولما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من المدينة، نزل في الصحراء وضرب فسطاطه، وأنزل العلويات، وكان معه بِشر ابن حذلم، فقال له الإمام: «يا بِشر، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟».

فقال بِشر: بلى يابن رسول الله.

فقال الإمام: «فادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله . . .».

فانطلق بِشر إلى داخل المدينة، ولما انتهى إلى الجامع النبوي الشريف رفع صوته مشفوعاً بالبكاء:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتِلَ الحسين فأدمعي مِدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج   والرأس منه على القناة يُدار

وهرعت الجماهير نحو الجامع النبوي وهي ما بين نائح وصائح تنتظر من بِشر المزيد من الأنباء، وأحاطوا به قائلين: ما النبأ يا بِشر قل لنا التفاصيل!؟

فأخبرهم بِشر: هذا علي بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه.

وعجّتِ الجماهير بالبكاء، ومضوا مسرعين لاستقبال آل رسول اللهﷺ الذي بَرَّ بدينهم ودنياهم، ولمّا رأوا تلك القافلة الهاشمية ساد البكاء وارتفعت أصوات النساء بالعويل وأحطن بالعلويات، وأحاط الرجال بالإمام زين العابدين وهم غارقون في البكاء والنحيب، فكان ذلك اليوم كاليوم الذي مات فيه رسول اللهﷺ.

وأما السيدة أم البنين فرغم كِبَرِ سنها فقد خرجت تبحث عن مصدر الهتاف أولاً، وسؤالها على لسانها عن حياة الإمام الحسين بن علي وفاطمة.

أوصلت نفسها بصعوبة كبيرة إلى بشر بن حذلم وفي زحمة الجمهور وهي تحمل معها حفيدها الفضل ابن ولدها العباس... قالت لبشر: ما خبرك عن سيدي ومولاي الحسين؟ أهو حي أم قُتِل؟

فأجابها بشر: عظم الله لكِ الأجر في ولدكِ العباس.

قالت: أخبرني عن الحسين.

فقال بشر: عظّم الله أجرك في أولادك جعفر وعثمان وعبد الله!

فلم تهتم بهذا الخبر المفجع، وأعادت سؤالها عن الحسين: قُل لي عن ولدي الحسين؟ لقد قطعتَ أنياط قلبي يا بشر، أسرع أخبرني عن إمامي الحسين؟ وإن أولادي كلهم وما تحت السماء كله فداء لأبي عبد الله الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ.

فأجابها قائلاً: يا أم البنين . . . والحسين أيضاً قُتِل، فقد ذبحوه عطشاناً، وفرّقوا بين رأسه وجسده.

فوقفت أم البنين على الأرض وأجلست حفيدها الفضل بن العباس على التراب، مجهشة بالبكاء على الحسين عليه السلام طويلاً. حتى سمعت بشر يقول لها: وتلك قافلة الإمام علي بن الحسين زين العابدين وعمّته السيدة زينب قد وصلت على أبواب المدينة. فقامت أم البنين تحمل حفيدها اليتيم الفضل بن العباس مرة أخرى وخرجت إلى زينب أم المصائب وإلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

ولكنها قبل أن تصل فوجئت بمجيء السيدة زينب إليها

لتعزيها بهذا المصاب العظيم، باستشهاد ولدها العباس وإخوته الأبطال.

جاءتها زينب لتعظّم أجرها وصبرها وتقدّم شكرها. وأخذت زينب تحدّث أم البنين عن بطولة العباس وإخوته الأوفياء: يا أم البنين أخبركِ من مواقف أخي العباس فإنه لميادين كثرة القتلى في معسكر أخي الحسين قال لإخوته: تقدموا في مواعي سيدكم حتى تموتوا دونه وأراكم قد نصحتم لله ورسوله. آه... ما أروع هذه الآداب الاجتماعية وما أغلى هذه الأحاسيس يا ليتنا نتعلمها من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونزرعها في سلوكنا وسلوك أولادنا والآتين منا جيلاً بعد جيل.

أم البنين: سيدتي زينب، قولي لي عن الواقعة؟

فقرأت لها السيدة زينب ما وقعت من أليم المصائب وعظيم الخَطب والفجائع. وكان يوماً فجيعاً في المدينة، ولقاءً حزيناً بين زينب وأم البنين، تذكّرتا معاً سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، لو كانت في ذلك المأتم لتبكي على فلذة كبدها وتشاطر أم البنين مصابها الأليم، لا أدري ولعلها ذكرت أم البنين هنا ما قال لها الإمام علي عليه السلام يوماً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تُحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم ولدها، فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش. فتقول: يا عدل احكُم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم لابنتي ورب الجنة».

ودخلت القافلة إلى مسجد النبي وأخذت السيدة زينب تصيح: «واجداه . . . وامحمداه . . . واأبتاه . . . واعلياه . . . واحسناه . . . واحسيناه . . . واعباساه . . .».

وقامت أم لقمان أخت مسلم بن عقيل تهتف في المتخاذلين عن نصرة آل بيت النبيﷺ.

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم
بعترتي وبأهلي بعد مُفتقَدي منهم أُسارى ومنهم ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وكان لكلمة الإمام زين العابدينعليه السلام وَقْعٌ جميل على قلب السيدة أم البنينعليها السلام . . . حينما قال لها: «رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يداه، فأبدل الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب».

بهذه الكلمات واسى الإمامعليه السلام أم البنين، ولكن حزنها على الحسين كان طويلاً ومستمراً.

الفصل الخامس

مواقف مشرفة

ندبتها للحسين عليه السلام يوم عاشوراء في المدينة

إذ كان أول ناع نعى الحسين وأوصل الخبر إلى المدينة في نفس الساعة التي قتل فيها الحسين عليه السلام هو جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وندبة السيدة أم البنين ونوحها على الحسين عليه السلام في ذلك اليوم يتجلى فيما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن عمرو بن ثابت عن أبيه المقدام، عن ابن جبير، عن ابن عباس، قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء فقلت: يا أم المؤمنين، ما لك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني.

وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي، فقد قتل والله سيدكن وسيد شباب أهل الجنة قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين عليه السلام.

فقلت: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام الساعة مشعثاً، مغبراً، مذعوراً، باكياً، فسألت عن شأنه فقال قتل ابني الحسين وأهل بيته[1]!!

«وكان ﷺ قد أعطاها شيئاً من تربة كربلاء جاء بها الأمين جبرائيل وقال: يا أم سلمة خذي هذه التربة وضعيها في قارورة وتعاهدي أمرها فإذا رأيتيها قد انقلبت دماً عبيطاً فاعلمي أن ولدي الحسين قتل، وقد فعلت أم سلمة ذلك وصارت تتعاهد تلك التربة حتى كان يوم العاشر من شهر محرم الحرام بعد الظهر بقليل، وكانت نائمة فرأت رسول الله ﷺ قد أقبل إليها مشعثاً مغبراً باكياً، حاسر الرأس، حافي القدمين، يلطم بيديه وجهه ورأسه فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أصابك؟ قال: يا أم مسلمة، أنائمة أنت وقد قتل ولدي الحسين وحُزّ رأسه، فجلست أم سلمة من نومها فزعة وأسرعت إلى القارورة وإذا هي تفور دماً عبيطاً»[2].

فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها وأخذت تصيح واحسيناه، فتجيبها أم البنين بحرقة وأنين، يا ريحانة قلب

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٢٢؛ تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٤٥.
(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف.

البتول ويا قرة عين الرسول . . . فترتج المدينة بالبكاء، فكانت أول صرخة يدمى معها الفؤاد من بعد زينب، وأصبح ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام فجاءت الركبان بخبره، وأنه قتل في ذلك اليوم[1].

فالسيدة أم البنين لم تر الرؤيا بل سمعت ذلك من أم سلمة وليس من رأى كمن سمع ومع ذلك تولّت أم البنين الندبة والنياحة وصارت تردد بحرقة وأنين: «يا ريحانة قلب البتول، ويا قرة عين الرسول».

فكانت السيدة (أم سلمة) أم المؤمنين والسيدة (أم البنين) تعولان وتبكيان دماً ونساء بني هاشم يساعدنهما بالعويل والبكاء، ولم يمض شهر واحد من شهادة سيد الشهداء حتى ماتت السيدة أم سلمة حزناً وكمداً عليه[2]. وأما أم البنين التي عرفت الحسين عليه السلام عن قرب، وفدته بأغلى ما عندها، هل تقدر الآن أن تنسى مصيبته؟ وهل يمكن للأيام أن تنسيها رزيته؟ بالطبع لا فلقد كانت تقف على قارعة الطريق المؤدية إلى كربلاء فتسأل المسافرين والركبان القادمين من كربلاء. تسألهم عن تفاصيل الرزية، فهي إلى الآن ومع شدة بكائها على

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٤٢٣.

الحسين عليه السلام بعد لم تستطع استيعاب ما جرى، ولعل هول الرزية، وشدة العُلقة بينها وبين الحسين عليه السلام جعلاها كالتي لم تصدق ما سمعت، فهي لا تزال مذعورة، مذهولة، وحق لها ذلك فلقد أخذ الحسين بمجامع فؤادها فهي أمٌ وليست كأي أم، وهي ثاكل وليست كأي ثاكل.

وبقيت هكذا تحيي الليل والنهار بالبكاء والنحيب على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين عليه السلام إلى أن عاد السبايا من أسر الذل إلى المدينة واستخبرت الحقيقة فاستعرت نيران قلبها، وتضاعفت أحزانها، وبقيت مُديمة لنوحها وبكائها وندبتها على من أسكنته قلبها، صاحب الشيب الخضيب والبدن السليب، والثغر المقروع بالقضيب، الإمام الغريب ذاك الذي هُتكت حريمه، وذبح في حجره فطيمه، ورُفع على رأس الرمح كريمه، المقطوع الوتين أبو عبد الله الحسين عليه السلام.

إيثارها الوحدة والوحشة ذوداً عن الحسين عليه السلام

ويتجلى هذا الموقف في إرسالها أولادها الأربعة مع أخيهم الحسين عليه السلام ووصيتها لهم بالذود عن أخيهم، وتذكيرها لهم بما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقوله لولده محمد بن الحنفية: بأنك

ابن علي، أما الحسن والحسين فهما ابنا رسول الله ﷺ فاعرف قدرهما. فكانت تقول لأولادها احفظوا قدر أخيكم واذكروا قول أبيكم، واجعلوا الحسين منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس فكانت وحشتها لفراق الحسين ووداعه ساعة خروجه من المدينة أشد من وحشتها ووداعها لأولادها الأربعة بما فيهم قمر العشيرة أبو الفضل العباس، وقد عزّ عليها خروج الحسين في ليلة ظلماء ممطرة شديدة البرودة.

لم يدر أين يريح بُدن ركابه   فكأنما المأوى عليه محرم

فلم تتعلق الأم الحنون بفلذات أكبادها، ولم تظهر جزعاً من فراقها لهم بل كان كل جزعها ونوحها وحسرتها على الحسين عليه السلام.

فكانت حتى آخر لحظة توصي أولادها بالذب عن أخيهم الحسين حتى النفس الأخير من حياتهم ولم تستطع هذه الأم البطلة أن ترافقهم إلى كربلاء وأما عن سبب ذلك فقد ذكر بعضهم أنها كانت مريضة، ومشغولة برعاية أولاد ابنها العباس عليه السلام إضافة إلى كبر سنها[1] فودعت أولادها بالآمال والأحزان وقد علقت كل الآمال على تاج رأسها وبكر أولادها، وبغية بعلها منها، قمر العشيرة أبي الفضل العباس في أن يتولى

(١) أم البنين، للإمام الشيرازي.

قيادة أولادها، وتحفيزهم ودفعهم إذا ما تغيرت الأحوال لترفع رأسها بين يدي سيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام . وقد حصل كل ذلك فها هو التاريخ يحدثنا عن بطولاتهم يوم الطف كيف كانوا يقذفون بأنفسهم وسط الهول، وأخوهم العباس يهتف فيهم قائلاً تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فيتقدمون إلى قلب الجيش المسعور بسيوفه العاوية ورماحه الباغية وكلما لمحوا خطراً يقترب من أخيهم الحسينعليه السلام تلقوه بأجسادهم حتى سقطوا جميعاً صرعى[1].

استقبالها الحوراء زينب بصرخة (وا ولداه واحسيناه)

يحدثنا التاريخ أنه بعد أن نعى بشير بن حذلم الحسين، وخروج الناس بين باكٍ وباكية، وناع وناعية، واستباقهم إلى الموضع الذي حط فيه الإمام زين العابدينعليه السلام رحله وخطبته في ذلك الجمع من الناس وقوله عليه السلام في ضمن ما قال: «إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان، وهذه الرزية لا مثلها رزية.

(١) راجع؛ بطل العلقمي: ص١٢٥، أم البنين سيدة نساء العرب: ص٦٣.

أيها الناس؛ فأيّ رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أي عين منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن انهمالها.

أيها الناس؛ أي قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أي فؤاد لا يحنّ إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم؟

أيها الناس؛ أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأمصار، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبيﷺ تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها، وأفجعها وأكظها وأفظعها وأحرّها، وأفدحها فعند الله نحتسب فيما أصابنا، وما بلغ منا إنه عزيز ذو انتقام»[١].

بعد ذلك دخل عليه السلام المدينة فرآها موحشة باكية ووجد ديار أهله خالية تنعى أهلها وتندب سكانها[٢].

---

(١) الأعيان: ج١، ص٦١٨.

(٢) المصدر السابق.

وحين وصلت الحوراء زينب عليها السلام دار أخيها الحسين لا تكاد تحملها رجلاها كانت شريكتها في المصيبة السيدة أم البنين في استقبالها بالحنين والأنين، والبكاء والنحيب، وعندما اقتربت الحوراء زينب عليها السلام من أم البنين صرخت أم البنين صرختها التي خلدها التاريخ قائلة: (واولداه واحسيناه) وعانقت كل منهما الأخرى فضجت الدار ومن فيها بالبكاء والعويل.

فيا لها من صرخة ستظل باقية خالدة مدى الأيام والعصور إنها لم تقل (وا ولداه واعباساه) فلم تندب ولدها الذي ذابت في حبه أو أحداً من إخوته، بل ندبت حسيناً فيا له من موقف لا يُنسى، وهكذا يصل الولاء الصادق بأهله.

وبعد أن كفكفت أم البنين دموعها تأملت في وجه الحوراء زينب واختنقت بعبرتها ثم قالت: سيدتي يا زينب أراك وقد ضَعُفَ بدنك واصفرّ وجهك، وأسرع الشيب إلى رأسك؟ فأمسكت الحوراء زينب عن الكلام قليلاً ثم قالت: والكلمات تتقطع في حلقها: «لا تلوميني فلقد شيبتني المصائب».

هذه دارهم تهيج شجوني كيف حبس الدموع بين الجفون
ودّعوني وأودعوا السهم قلبي ليتني ما بقيت مذ ودعوني
أيها اللائمون كفوا ولكن بمصاب ابن فاطم ذكروني

تلك ذكرى بها تهون الرزايا   وهي من أمهات ريب المنون
تركت زينباً تنادي حسيناً   يا ابن أمي ووالدي روعوني
غيّرتني مصائب الطف حتى   أن من يعرفوني لم يعرفوني

تأكدها من وفاء أولادها

من المواقف السامية التي ازدانت بها حياة السيدة أم البنين أنها وبعد أن عاد السبايا إلى المدينة جاءت إلى الحوراء زينب عليها السلام تقسم عليها بأغلظ الأيمان لتخبرها عما فعل أولادها يوم عاشوراء خصوصاً سيدهم وكبيرهم قمر بني هاشم العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام . وهل كانوا عند حسن ظن أمهم وأبيهم فيهم؟ وهل وفوا لإمامهم وسيدهم سيد شباب أهل الجنة، ولم يبخلوا عليه بشيء؟

وهل أدوا حق النصرة كما ينبغي؟ وراحت تكرر السؤال على الحوراء زينب عليها السلام كل ذلك بغية التأكد من وفاء أولادها لإمامهم ونصرته والذود عنه، وما أعجبه من موقف!

إنها بدل أن تسأل عن جراحات أولادها أو عن مصارعهم، وكيف سقطوا ومن قتلهم ومن حز رؤوسهم ومَن مثّل بهم وأية خيل رضت أجسادهم إلى غير ذلك من الأسئلة التي تكشف عن مدى تعلقها بأولادها وحزنها لفراقهم، بدل كل ذلك تسأل عن وفائهم

للحسين عليه السلام وعن ذودهم عنه، ومواساتهم له، مما يكشف عن عظيم إيمان وسموّ معرفة، تميّزت به هذه السيدة الصابرة.

وجاءها الجواب من الصديقة زينب عليها السلام مبرداً لغليلها، ومهوناً لنحيبها، ذلك الجواب الذي هلّلت لسماعه، وشكرت الله تعالى لتحققه، فلقد بينت لها أنهم لم يكتفوا بالذود عن الحسين والقتال بين يديه والمواساة له بل سطروا أروع البطولات، وواسوا أخاهم وإمامهم الحسين حق المواساة خصوصاً بطل العلقمي وساقي العطاشى الذي تعجب من بطولاته وصولاته ومواساته ملائكة السماء.

فلقد خاض الماء بجواده وملأ القربة ماءً وأحسّ ببرودة الماء ولم يذق من الماء قطرة واحدة مع شدة ظمئه وعطشه كل ذلك مواساة منه لأخيه الحسين عليه السلام الذي لم يشبهه أحد وقتئذٍ في ظمئه.

فاطمئني يا أم البنين وتخطّي عرصات القيامة رافعة الرأس، مبيضة الوجه، فالزهراء بانتظارك، وفيتِ لها فلا بد أن تفي لك فطوبى لك ولأبنائك ومحبيك.

إعلانها مظلومية الحسين عليه السلام على الملأ

ومن المواقف التي لا تنسى، بل لا يصح أن تنسى لأم

البنين عليها السلام إعلانها لمظلومية الحسين عليه السلام وذلك عبر إقامتها لمجالس العزاء، وطول بكائها عليه.

فقد ذكر المؤرّخون أنها كانت تحمل حفيدها عبيد الله بن العباس وتخرج إلى البقيع كل يوم وتقيم النياحة على أولادها وتندبهم أشجى ندبة، وخروجها إلى البقيع حيث اجتماع الناس، من ناحية، وقربها من القبور مما يجعل النفوس المستمعة لندبتها أكثر تأثراً مما لو ناحت في مكان آخر من ناحية أخرى. كما أن نياحتها على أولادها لا تعني أنها نسيت الحسين عليه السلام بل الحسين عليه السلام بالنسبة لها هو سيد أولادها والنوح كل النوح عليه ومن أجله نعم لا يمكن أن نهمّش مصيبتها في ولدها العباس قمر العشيرة وإخوته، فهي الأخرى مصيبة عظيمة، ورزية فادحة.

ولهذا نراها في بعض الأحيان رغم قوة إيمانها، وصلابتها، وتضحيتها، ووعيها، وإدراكها، ورضاها بما قسمه الله لها نراها تستسلم للعاطفة فتخنقها العبرة على ولدها العباس وإخوته، فيفيض قلبها حزناً وتقول:

يا من رأى العباس كرّ على جماهير النَّقد[1]
ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لُبد

---

(١) النقد: جنس من الغنم، قصار الأرجل، قباح الوجوه [لسان العرب: ج٣، ص٤٢٦].

انبئت أن ابني أصيب	برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي	أمال برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يديك	لما دنا منه أحد[1]

إنها تندب أولادها الأربعة وتتقطّع ألماً عندما تذكر أيامهم وذكرياتهم الجميلة. ولكن سرعان ما يشتد نحيبها ويعلو بكاؤها على سيد أولادها، وإمامها، ومخدومها الحسين عليه السلام فلا تقدر على أن تملك عبرتها عند تذكر أيامه، وتصوّر مصيبته، وتهشيم أضلاعه وحمله (بدل الكفن) في قطعة من البواري، فتهون عندئذٍ محنتها في أولادها الأربعة وتجثو مصيبة الحسين عليه السلام وحدها على صدرها، وتأخذ بمجامع فؤادها، فلا تبصر إلا الحسين، ولا ترى إلا الحسين، ولا تحس إلا بالحسين، ولا تتذكر إلا مصيبة الحسين ولا تردد إلا قول: يا حسين، يا حسين، يا حسين.

وهي إنما تقوم بذلك لتشتعل نار العداوة ضد بني أمية، فكانت هي والحوراء زينب عليها السلام قد أخذتا على أنفسهما إكمال رسالة الحسين عليه السلام ونشر مظلومية في ربوع الدنيا، فعليك مني سلام الله يا سلالة الأطياب، وإلى موقفك هذا فلتنحني الرقاب، كلُّ الرقاب.

---

(١) إبصار العين: ص٣١.

وفاتها وموضع قبرها

بعد حياة مليئة بالمحن والمصائب رأت فيها رؤية العين اجتماع الأمة وتضافرها على ظلم بعلها الوفيّ والوصيّ النقي أبي الحسن علي عليه السلام وبعد ذلك فُقْدِها إياه، وبقاؤها أرملة قد اسودّت الدنيا في عينها بهذا المصاب العظيم الذي تهدّمت بسببه أركان الهدى وانفصمت العروة الوثقى وبعد ذلك ما جرى على السبط الزكي الحسن بن علي عليه السلام من حوادث مروّعة، ومصائب مفجعة.

وتآمر الأمة الظالمة عليه ولم يجد من الأنصار ما يستطيع النهوض بهم للذود عن بيضة الإسلام وحريمه، حتى قتل مسموماً مهضوماً، ووصل الأمر بالأمة وظلمها له إلى الحيلولة بينه وبين دفنه عند قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله. وبعد ذلك جاءت أحداث كربلاء فأنست مصائبها كل المصائب وهوّنت رزاياها كل الرزايا، ففقدت ثمرات حياتها وفلذات أكبادها الأربعة، ولم يكن عندها من البنين سواهم تتسلى به، وفوق كل فقدها، فقدها

لسيد الشهداء، ومحزوز الرأس من القفا، سليب العمامة والرداء، خامس أصحاب الكساء المقطوع الوتين، أبي عبد الله الحسين عليه السلام، هذا الذي كانت تفديه بكل أولادها لأنه كان عندها أغلى من كل أولادها بل أغلى من روحها التي بين جنبيها، فخلدت للبكاء والنحيب، وصارت تراودها تلك الذكريات المروّعة، وشاركت عزيزة أمها وأبيها وأم المصائب زينب أحزانها، حتى نحل جسمها وضعف من طول البكاء والنحيب بصرها، فأحبت لقاء ربها واشتاقت إلى أولادها.

ففاضت نفسها الزكية، فاحتضنتها العترة المحمدية، فـ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾[١].

حبيبة ذات دين زانه أدبٌ
بكر أصيل حكت في وجهها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها
تلك الصفات هي المحيا لمن نظرا
فيها الأحاديث جاءت وهي ثابتة
أحاط علماً بها من في العلوم قرا[٢]

---

(١) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) أم البنين سيدة نساء العرب: ص٤٦، الأبيات للسيد مهدي السويج.

زيارتها وقبرها ويوم وفاتها

وزيارة المؤمن في الشريعة من المستحبات، ومن زار مؤمناً أثابه الله، فكيف بها وهي مؤمنة صابرة، سيّدة في قومها، بطلة أمام الحدث الجسيم، وزيارتها من أفضل المستحبات، والتردد على قبور المؤمنين فيه الموعظة والعبرة؛ لأن روح المؤمن باقية خالدة، والوقوف عند قبرها، والدعاء والتوسل بها عند الله أمر راجح مرضي تؤيّده السنة النبوية، فقد كان رسول الله يزور قبور البقيع، وهذا هو المتواتر المعروف في كتب السيرة، وكانت فاطمة تزور قبر عمها حمزة بن عبد المطلب، وكان علي يزور المقابر، ويدعو لها بالرحمة، وكان شيوخ الصحابة يزورون قبور الشهداء، قبور آبائهم وإخوانهم، رزقنا الله زيارة هذه المؤمنة الموالية المحبة المتفانية من أجل الحسين عليه السلام.

وأما قبرها فهو في البقيع، في الزاوية اليسرى، ومن المؤمّل، وهو الحلم الذي يراودنا، أن قبرها في يوم قادم سيبنى ويشيد ويطاف حوله ويزار، وكذلك قبور البقيع التي كانت ثمّ هدمت،

ومثل الصادق والباقر والسجاد والحسن السبط، يستحقون التكريم وبناء قبورهم ليطوف حولهم الوافدون ضيوف الله.

وقيل أيضاً يوم وفاتها فلم يكن ظاهراً معلوماً، وقد نقل السيد الخطيب السيد مهدي السويج البصري في كتابه أم البنين سيدة نساء العرب في الصفحة ٨٦ ـ ٨٧، قال:

«ذكر كتاب كنز المطالب تأليف العلامة السيد محمّد باقر القراياغي الهمداني:

كانت وفاتها في جمادى الثانية، في الثامن عشر منه، وكان يوم جمعة، دخل الفضل بن العباس وهو باكٍ حزين على الإمام زين العابدينعليه السلام وهو يقول:

لقد ماتت جدتي أم البنينعليها السلام، فانظر بالله عليك إلى هذا الدهر الخؤون كيف فجع أهل الكساء مرّتين في شهر واحد، فلا حول ولا قوّة إلا بالله».

وذكر في هامش وقائع الشهور والأيام للبير جندي:

«وفي الثالث عشر من جمادى الثانية توفيت أم البنين الكلابية سنة ٦٤هـ»(١).

(١) كتاب هامش وقائع الشهور والأيام: ص٣٠٠.

ومعنى ذلك أن المرأة توفيت في المدينة، وعاشت في المدينة بعد واقعة الطف، وهي ثلاث سنوات، وأثّرت عليها فاجعة كربلاء، تلك الفاجعة المؤلمة، والمذبحة الكبرى التي ذهب ضحيّتها آل علي وآل عقيل وآل جعفر، وعادت النساء المفجوعات الباكيات بعد أن طافوا بهنّ من بلدٍ إلى بلد.

الفصل السادس

التوسل بأم البنين عليها السلام

إن مسألة الدعاء والتوسّل من أهم الضروريات العقائدية التي لا يمكن للمؤمن أن يتغاضى عنها ولا للمؤمنة أن تتهاون بها، حتى أن المولى تعالى شأنه اعتبر القيمة الحقيقية للإنسان في ذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[١].

وفي مجال التوسّل والتوصّل للقرب المعنوي يتجلّى الحال من خلال قوله تعالى شأنه ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[٢].

ومن سنن الله الجارية في أوليائه إكرامهم بإظهار ما لهم من الشأن والزلفى منه وهذا من تحصيل الحاصل ومن أوضح المسائل ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٣].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

وهو من غير ما ادخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآخرة، تقديراً لعملهم وإظهاراً لحقيقة أمرهم ومبلغ نفوسهم من القوة من جهة، وحثّاً للملأ على اقتفاء آثارهم في الطاعة، ومهما كان العبدُ يخفي الصالحات من أعماله فالمولى سبحانه يتولى إظهار ذلك الخفاء، وأنه جلّت آلاؤه يظهر الجميل من أفعال العباد ويستر القبيح رأفة منه وحناناً عليهم[١].

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد المقرّبين وقباب المعصومين وقبور الصالحين والمستشهدين في سبيل الله من آثار العظمة وآيات الجلال من إنجاح المتوسل بهم إليه، وإجابة الدعوات تحت قبابهم المقدّسة، وتتأكد الحالة إذا كان المشهد لأحد المنتسبين للبيت النبوي، لأنه تعالى تجلّت حكمته ذرأ العالمين لأجلهم، ولأجل أن لا يتعدى سواهم التطاول والاستعلاء عليهم، ومن باب رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتجاوز حدّه، كان من المحتّم في باب لطفهِ وكرمه أن يُعلِمَ الناس بفضلهم الظاهر ومقامهم الباهر.

وفي هذا المقام يذكر الشيخ علي رباني بعض شأن السيدة الكريمة قائلاً:

---

(١) أم البنين: شيخ علي رباني خلخالي، ص١٥٤.

«من المنتسبين إلى ذلك البيت الطاهر الذي أذن الله له أن يرفع «أم البنين»، فإنها في الطليعة من أولئك الذين بذلوا في سبيل الله ما عزّ لديهم وهان حتى اتصلت النوبة إلى أولادها وفلذة كبدها، بل أذهبت نفسها في زفراتها الحارة على الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فكان ذلك كله نصب عينه تعالى ذكره فأجرى سنته الجارية في الصديقين والأولياء فيها بأجلى مظاهرها ومعانيها، ولذلك تجد المؤمنين في أصقاع الأرض يتوسّلون بها إلى الله تعالى، ويستشفعون بها في حاجاتهم في آناء الليل وأطراف النهار، ويجعلونها باباً من أبواب رحمته. ويطرق هذا الباب أرباب الحوائج من عاف يبتغي البر أو عليل يطلب العافية أو مضطهد يتحرى كشف الغموم والهموم إلى خائف ينضوي إلى حمى الأمن والأمان، وإلى أنواع المقاصد المتنوعة، فينكفئ فلج الفؤاد بنجح الطَّلِبَة وتقر العين في الكفاية وتنشرح النفس بالإنجاز وما ذلك على الله بعزيز ولا من المقربين من عباده ببعيد..».

وفي هذا الاتجاه يُنقل أن أحد العلماء في عالم المعنى والمكاشفة رأى قمر بني هاشم أبا الفضل العباس عليه السلام وقال له:

سيدي إن لي حاجة فبمن أتوسل حتى تقضى حاجتي؟

فأجابه عليه السلام: توسّل بأمي أم البنين عليها السلام.

ونن نذكر هنا بعض الختومات والنذورات المجرّبة وآداب التوسل بهذه السيدة المباركة وعن طريق بعض العارفين والعلماء الصالحين.

١ ـ إهداء الصلوات:

يقول المرجع الكبير السيد محمود الشاهروردي المتوفى في ١٧ شعبان ١٣٩٤هـ: «إني أصلّي على محمّد وآل محمّد مائة مرة وأهديها إلى أم البنين عليها السلام فتُقضى حاجتي».

٢ ـ النذر:

أن ينذر لأم البنين عليها السلام ويطعم الفقراء باسم أبي الفضل العباس عليه السلام.

٣ ـ ختم سورة «يس»:

قراءة سورة «يس» عشر مرات في أربعة أسابيع وهو كما يلي:

يقرؤها في ليلة الجمعة من الأسبوع الأول (ثلاث مرات).

وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الثاني يقرأ (ثلاثاً).

وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الثالث يقرأ (ثلاث مرات) أيضاً.

وفي ليلة الجمعة الأخيرة في الأسبوع الرابع يقرؤها (مرة واحدة) ويهديها لأم البنين عليها السلام نيابة عن أبي الفضل

العباس عليه السلام فإنها ستُقضى حاجته إن كانت مشروعة إن شاء الله تعالى.

٤ ـ تجهيز من يزور الحسين عليه السلام نيابة عنها عليها السلام:

ينقل عن السيد محمّد الروحاني (عليه الرحمة) أنه كان يتوسّل في المهمات والمشاكل المعضلة بأم البنين عليها السلام فتقضى وتنكشف، وحتى في عوارضه الخاصة حيث ذكر بأنه:

ابتلي ذات مرة بألم شديد في أحد أسنانه، وكان ألماً مُبرِّحاً لا يطاق، فراجع طبيبه الخاص الدكتور الطريحي فلم يجده، فلما اشتد به الألم نذر لله إن نجّاه من هذا الألم أن يستأجر من يزور كربلاء نيابة عن أم البنين عليها السلام في ليلة الجمعة القادمة، فلم تمضِ لحظات حتى سكن الألم وكأن شيئاً لم يكن، وفي عصر اليوم التالي عاد الألم مجدداً فقال السيد: يبدو أن الطبيب قد حضر، فراجعه فوجده في مطبّه، فقلع سنّه بعد أن كان لا بد من قلعه فارتاح من بلائه، كل ذلك السكون من بركة أم البنين عليها السلام.

٥ ـ إهداء الصلوات للمعصومين وقراءة دعاء التوسّل:

هناك ختم من النفائس مذكورة في كتاب «مجموعة علم الجفر» ووقته بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العشاء، والأفضل

أن يشرّع به أول الشهر العربي الهجري وهو كالتالي:

في اليوم الأول: (ألف مرة) «اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد وعجّل فرجهم»، ويهديها إلى الرسول الأعظمﷺ.

وفي اليوم الثاني: (ألف مرة) أيضاً على النحو المذكور لأمير المؤمنينعليه السلام.

وفي اليوم الثالث: يهديها لسيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام.

وفي اليوم الرابع: للإمام الحسن السبطعليه السلام وهكذا يستمر في كل يوم لإمام حتى يصل إلى صاحب الأمر والزمان أرواح العالمين له الفداء.

وفي اليوم الخامس عشر: لأبي الفضل العباسعليه السلام.

وفي اليوم السادس عشر: لأم البنينعليها السلام.

وفي اليوم السابع عشر: لزينب الكبرىعليها السلام.

وفي اليوم الأخير: بعد أن ينتهي من الصلوات أي في السابع عشر، يقرأ الدعاء المعروف بالتوسّل والمذكور في مفاتيح الجنان الشريف وأوّله «اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيك نبي الرحمة...».

وذكر صاحب الكتاب المذكور: نقل لي من أثق به أن جماعة التزموا هذا الختم وأدّوه، فلما انتهوا منه تشرّفوا بزيارة العباس عليه السلام فقال لهم: «حاجتكم مقضية».

قال أحد الجماعة أعلاه: كنا جماعة وقد قضى الله حوائجنا جميعاً والحمد لله(١).

٦ ـ قراءة الفاتحة لأم البنين عليها السلام:

مما اشتهر بين الناس سيما من يعرف منهم مقام أم البنين عليها السلام ومنزلتها أنه إذا فقد حاجة وضاعت منه، وأراد أن يبحث عنها فإنه يقرأ سورة الفاتحة ويصلي على محمّد وآل محمّد ويهديها لأم البنين عليها السلام فإنه يجد ضالته بإذن الله تعالى، وقد جرّب ذلك مراراً...

٧ ـ إهداء ختمة قرآن لأم البنين عليها السلام:

وقد جرّب ذلك في مراجعة الدوائر الرسمية وعامة المراجعات المهمة، كما حصل للشيخ محمّد علي إسلامي عام ١٤١٩هـ، في معضلة مهمة حيث يقول: توسّلت بالسيدة أم البنين عليها السلام وشرعت في تلاوة القرآن وقبل إتمام الختمة تيسّرت أموري كلها وقضيت حاجتي، وكنت إذا راجعت أي دائرة من

(١) مذكرات السيد مرتضى السبستاني.

الدوائر وحدت السُّبل مفتوحة والأمور ميسّرة والوجوه طلقة وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً، وكل ذلك من بركاتها عليها السلام.

٨ ـ إهداء زيارة عاشوراء لأم البنين عليها السلام:

قال السيد محمّد حسين زاه العقيد المتقاعد المعروف في مدينة (كرج) الإيرانية من ضواحي طهران العاصمة: كنت مشغولاً بالتدريس يوم الجمعة وقت العصر إذ دخل أحد التلاميذ ذاهلاً فاستأذن وقال:

إن أبي الآن يعالج الموت، وقد تركته في سكراته محتضراً ووجهته إلى القبلة وجئت لأعتذر إليك عن التأخير وأعود إليه.

فقلت له: اسمع مني سأروي لك حديثاً عن سيدتي فاطمة الزهراء عليها السلام فإنها قالت: سألت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله أي ساعة أفضل لاستجابة الدعاء؟ فقال صلى الله عليه وآله: عند الغروب يوم الجمعة.

فنحن ندعو ولكن الأفضل أن تنذر أيضاً نذراً قال: إني الآن في حالة من الاضطراب وتشتّت البال بحيث لا أدري ماذا أفعل وماذا أنذر، أرجو أن تنصحني وتعلمني وترشدني إلى ما أفعل؟

فقلت له: انذر الآن أن تقرأ زيارة عاشوراء (عشر مرات) وتهديها لأم البنين عليها السلام بقصد شفاء والدك.

فقال: أفعل، ورجع إلى البيت مسرعاً، فلما دخل البيت بلغ له العجب غايته، إذ رأى أباه واقفاً في ساحة الدار مشتغلاً بالوضوء والاستعداد لصلاة المغرب، فسأل عن ذلك، فأخبروه أنه منذ نصف ساعة انقطعت عنه الحمى فجأة وأخذ يتماثل إلى الشفاء وبدأت أعراض الموت تزول منه حتى قام واقفاً على قدميه.

قال العقيد: وها هو ذا الأب حفظه الله يشتغل بالقرب منّا سالماً غانماً يواصل عمله..

وفي إطعام الطعام لأم البنين عليها السلام والذي يعتبر من المجرّبات. نقل السيد صادقي الواعظ في قم المقدسة حيث قال:

كنت في طهران أرتقي المنبر وكان اليوم التاسع من المحرّم، فاكتريت سيارة للذهاب إلى قراءة المجلس، وكان الشارع مزدحماً لا تكاد السيارة تقطع الطريق إلاّ بشق الأنفس، وذلك لكثرة المواكب المنطلقة ذلك اليوم فتساءل السائق قائلاً: ماذا حدث؟ لماذا كل هذا الزحام؟ فقلت: ألستَ مسلماً؟ ألا تدري أن اليوم هو اليوم التاسع من المحرم، وهو يوم عزاء أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم.

قال: كلا أنا مسيحي.

قلت: اليوم يوم العباس عليه السلام - عند بعضهم ينسبون التاسع للعباس عليه السلام -.

قال: نعم أنا أعرف أبا الفضل العباس جيداً، واستطرد قائلاً:

كنت عقيماً محروماً من نعمة الولد، وبعد زمان رزقت ولداً إلا أنه كان مشلولاً مقعداً، فصرفت كل ما عندي وبعت بيتي وأنفقتها في علاجه دون نتيجة.

وفي ذات ليل دخلتُ بيتي - وكنت مستأجراً أسكن مع صاحب الدار - فرأيت زوجتي تبكي فقلت لها: ماذا حدث؟

قالت: إن صاحبة الدار دعتني للحضور على سفرة أم البنين عليها السلام.

قلت: من هي أم البنين؟

فشرحت لي ما سمعته عنها ثمّ قالت: لقد أخذت ولدي وأجلسته على مائدة أم البنين فتعال نجلس هذا الطفل في حجرنا هذه الليلة ونتوسّل بأبي الفضل العباس معاً.

وبالفعل اتفقنا وفعلنا ذلك حتى أخذنا التعب، فتركنا الصبي

لحاله واضطجعنا في الإيوان (البلكون)، وفي منتصف الليل رأيت ـ بهذه عيني ـ الطفل وقد قام معتمداً على رجليه وأخذ يركض، ففزعت وصرخت به: ماذا حدث؟

قال: من هذا السيد الفارس الذي جاءني؟

هذه هي معجزة أبي الفضل العباس عليه السلام التي رأيتها بعيني فكيف لا أعرفه؟

وهناك طرق متعددة في ابتغاء الوسيلة بهذه السيدة الجليلة كختم سورة الأنعام و(مائة مرة) سورة القدر وسورة الإخلاص وكل ذلك يحتاج إلى تفصيل قد لا يناسب هذا المختصر، وقد أرشدنا نبي الرحمة ﷺ بقوله: إنما الأعمال بالنيات.

الفصل السابع

أم البنين صاحبة الكرامات الباهرة

المعجزة للنبي هي بذاتها الكرامة للولي، ومعاجز الأنبياء يقابلها كرامات الأولياء، وإذا كانت المعجزة في مدلولها ما يقع خلاف العادة، فإن الكرامة كذلك، وإذا فسّر البعض بأن المعجزة تحصل للنبي حالة التحدي من قبل المناوئين، فإن الكرامة تحصل للولي إظهاراً لعظم شأنه أمام الموالين المسلمين وقِبَل المعاندين الرافضين.

يكفي للمعجزة بياناً قيام الكتاب العزيز بتغطيتها عقائدياً، وللكرامة تبياناً ما نقله الوحي الأمين لبعض الأولياء كآصف بن برخيا وصي سليمان بن داود أو آسية بنت مزاحم زوجة فرعون التي أراها الله تعالى قصرها في الجنة أو أصحاب الكهف الذين جعلهم الله تعالى آية من آياته وذكرهم في سورة مفصّلة باسمهم، حتى بات هذا الأمر من بديهيات العقيدة الحقة.

فإذا كان القرآن تكفل التغطية، إذن فعلام نستبعدها موضوعياً أو فلسفياً، وهنا آثرت نقل بعض كرامات أم البنين التي يتحدث

بها القاصي والداني، وبكل بساطة لأن هذه المرأة الطاهرة ذابت في الله تعالى، وانقطعت إلى أحبائه، وكانت طاعتها فريدة، وانقطاعها على أتم الصدق، فأعطاها الله هذه الكرامة من منطلق (عبدي أطعني تكن مثلي، أنا أقول للشيء كن فيكون، وأنت تقول للشيء كن فيكون).

إذن فعلام نستبعد من والدة أبي الفضل العباس عليه السلام حصول الكرامات ووقوعها وهي في هذه المكانة الرفيعة والمقام العظيم عند الله تعالى.

مع العلم يمكن الادعاء بأن السيدة أم البنين بذاتها المجرّدة تعتبر من أكبر المعاجز والكرامات، لأنها استطاعت أن تفوق الكثير من نساء الأنبياء والأوصياء من خلال الذوبان والتسليم لأهل البيت عليهم السلام.

وإلى تقريب هذا الاتجاه يمكننا أن نترك الاستدلال بالروايات الصحيحة أو الضعيفة، ونستبدلها بالواقع العملي من خلال التجارب الكثيرة المشاهدة في وقوع الكرامات.

وبالمناسبة نذكر كرامة ذكرها الشيخ البديري أنه قال:

رؤية الشيخ البديري

في حضرة أبي الفضل العباس عام ١٩٧٤م ليلة زيارة

الأربعين في آخر الليل وفي شدّة الازدحام حول الضريح المبارك، طارت امرأة ريفية ذات هيبة وجلال، ارتفعت إلى الكتابة العليا من الضريح وهي تمسكه بكلتا يديها وبقيت في الهواء وترتفع وتنخفض ست أو سبع مرات، وهي تتكلم بكلام لم نفهمه نحن الزائرين الذين كنا قد شاهدنا الكرامة، وفي المرة الأخيرة مسكت الضريح بيدها اليسرى وهي معلّقة في الهواء، ووجهها متجه للزائرين، حتى هوت إلى الأرض مغشياً عليها، ثمّ أخذوها إلى الرواق، ومن باب حب الاستطلاع، ذهبت للرواق فرأيت وجهها ينضح عرقاً وتتمتم بصوت منخفض، فسألت بعضهم فقال إن هذه المرأة لها علاقة خاصة بالعباس عليه السلام أي (المطوعة) على اللهجة الشعبية العراقية.

ولا أنسى أن رأسها كان يصل إلى الأبيات الذهبية المرصّعة على أعلى الضريح، وهي للأديب الراحل السيد جمال الدين الهاشمي والتي مطلعها:

ضريحُك مفزَعُنا الأمنعُ   بهِ كلُّ نازلةٍ تُدفعُ

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

في ذكرى وفاة السيدة أم البنين عليها السلام في ١٣ جمادى الثاني عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، كنت قد تشرّفت بقراءة المجلس

الحسيني على ضياء المناسبة، والمجلس كان في منطقة آمه في كوبنهاغن في دار السيد عبد الرزاق أبو رغيف.

كان المجلس في وضح النهار يتمتّع بروحانية متميزة وكان الحديث مقتصراً على حياة السيدة أم البنين، وكرامتها عند الله تعالى.

لما وصلتُ إلى أجواء المصيبة في ختام المجلس، أحسست في نقلة نوعية حزينة، قد انعكست من أصوات البكاء والنحيب، وأصبحت حالة الجميع بروحانية وشفافية كبيرة.

في أثناء المصيبة الختامية، تشرّف أربعة من الإخوان بمشاهدة أبي الفضل العباس عليه السلام، يرونه من خلال نافذة الصالة، التي انعقد فيها المجلس يشاهدون أبا الفضل العباس عليه السلام من النافذة وهو في مرتفع يعلو الثلاثين متراً قريب نافذة البناء المقابل للمجلس، يشاهدونه وهو عليه السلام يحدّق النظر إلى المجلس الذي انعقد على شرف أمه أم البنين عليها السلام، واستمر الحال إلى نهاية المجلس والدعاء والختام، وهؤلاء الإخوة هم الحاج أبو غسان الصحفي المخضرم والسيد أبو علي البطاط والسيد قيس الحيدري والسيد عماد الحسيني، وتكررت المكاشفات في مجالس أخرى، حيث تشرّف بعض الإخوة المؤمنين بمشاهدة عدة من أهل البيت عليهم السلام في هذه البلدان

المظلمة إلا من محال ذكرهم عليهم السلام هذا ما طرق سمعي حول هذه الكرامة. وسوف أنقلها بلون آخر كما سترى، حتى لا تعتريك الشكوك بأن آل الله يحضرون في المجالس الحسينية المخلصة، المجالس التي لا يتنافس أصحابها على الجاه وحب الدنيا. . .

بعد عدّة أشهر من حصول الكرامة، التقيت بالحاج رعد العبيدي (أبو غسان) أيام شهادة الزهراء صلوات الله عليها عند مقام السيدة زينب عليها السلام أيام جمادى ١٤٢٦هـ في حزيران ٢٠٠٥م، فأحببت نقل هذه المنقبة عنه بصورة مباشرة، بل رأيت أنه من الأولى أن ينقلها هو باعتباره صاحب المشاهدة والمستبصر القريب العهد بالتشيع، ولكونه الصحفي المخضرم المعروف بأسلوبه الرفيع، وها أنا ذا أترك له المجال ليحدثنا بنفسه حيث يقول:

ما إن دعيت لحضور مجلس عزاء حسيني يقام في منزل السيد أبو علي الموسوي في كوبنهاغن، حتى قلت لبيّك، ثمّ تضاعف حماسي للحضور والمشاركة حينما علمت أن المجلس يقام باسم أم البنين لما تتمتع به من تقدير متميز عند الزهراء سلام الله عليها وعند أهل البيت عليهم السلام وعندنا نحن الذين نهتدي بهداهم.

وفي الطريق إلى المجلس كانت الأفكار والصور تتزاحم في رأسي عن تلك المواقف البطولية، بل الممتنعة عن الوصف لأم العباس سلام الله عليهما، إزاء القضية العادلة لملحمة الطف خصوصاً بطلها الحسين عليه السلام مما جعلني غير منتبه إلى الطريق الذي فقدته أكثر من مرة.

وبعد وصولي إلى المنزل.. كانت الروحية والتفاعل بين الوجدان والقلب والنفس، قد بلغت مستوى متداخلاً يصعب فيه فك الارتباط بين كل منهم.

وبعد الجلوس في المكان المحدد، انطلق ذلك الصوت الشجي الصادق للشيخ عبد الستار الكاظمي الذي صار يرسم بالكلمات بعض صور ملحمة الطف، ثمّ عرج على تلك الساعة الرهيبة التي عادت فيها قافلة أهل البيت إلى المدينة من دون أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومن كل الرجال والشبان باستثناء عليل كربلاء عليه السلام، حيث الحوار المعروف بين السيدة أم البنين وبشر بن حذلم، فاعتُصر القلب وشاع الوجع في الروح، وتزاحم سيل الدمع وهو يجري على الوجنات استجابة لتلك الصور المفجعة المؤلمة.

وبعد هدوء، غالباً ما يحدث في المجالس حينما يختم القارئ، خيّمت قدسية خاصة لصور نسج ملامحها ساقي عطاشى كربلاء.

خيّمت تلك الصور وازدحمت في رأسي، فبكيت ثانية أبا الفضل الذي يحتل بجدارة وإخلاص موضوعة (أبي الفضل إلاّ أن يكون له أباً).

وحينما كفكفت الدموع عن عيني، نظرت إلى الفضاء عبر النافذة التي أمامي في محاولة غير مرتبة، وكأني أحاول الانطلاق من دائرة ضيق الصدر التي انتابتني ضيماً وحزناً على أهل البيت وهم يعترضون لكل تلك المآسي، إلى ما هو أرحب وأوسع، فحدثت هنا المعجزة!

والمعجزة، ببساطة، وهي ليست ببسيطة قطعاً، كانت عبارة عن رجل وليس خيال، يقف في الشباك المقابل المطل على الشارع، والذي يبعد عنا حوالي ٤٠ متراً، وهو ذا هيبة وجلال تغطي رأسه قلنسوة المعركة، ينظر نحونا دون أن يتحرك أدنى حركة، الله أكبر.

قلت في نفسي وقد أخذتني رعدة وقشعريرة: ما هذا؟

ومن هذا؟.

إنه العباس عليه السلام، جاء ابتداءً لا أدري من أين...

حضر ليبارك للجميع المجلس الحسيني المقام باسم أمه أم البنين.

تسلمت الجواب عن الشخص دون أن أسأل كيف ولماذا ومتى و. . الخ.

فمثل تلك الرسائل التي تأتي بالبريد الخاص، لا يحتاج إلى تلك الأسئلة التي تكون الروح في غنى عنها، ولا يكترث لها القلب أبداً.

التزمت الصمت، حتى ازداد الضغط الداخلي على قلبي، فقررت أن أتحدث عن ذلك لأصحابي الحضور، لعلّهم يهتدون إلى ما اهتديت إليه فكان الأقرب إليّ الأخ السيد أبو علي البطاط جالساً أمامي، وظهره على الشباك فأومأت إليه، أن ادنو مني فدنا.

وعندما أجلسته بجانبي قلت له: الرجاء أن تنظر إلى ذلك الشباك.

فنظر، قال: ما الأمر؟

قلت: حدّق النظر في الزاوية تلك، وماذا ترى أخبرني بهدوء دون أن يعلم أحد.

وبعد لحظات خطف لونه، وقال: أرى شخصاً ينظر إلينا، قلت: من هو؟

أجاب بلا تردد: إنه العباس عليه السلام، قلت: شكراً، ارجع مكانك.

[ثمّ سألت الشخص الذي بجنبه حيث أجهل اسمه، ولعله ما كان قد حضر، وبالفعل كان من مدينة أودنسا، وهو السيد قيس الحيدري (أبو ضافر)، والذي عندما سألته نظر إلى النافذة وقال: هذا العباس عليه السلام].

وبعد دقيقة لم أشعر أني اكتفيت بذلك، فبادرت إلى شخص جالس إلى جواري لم أكن قد تعرفت عليه، لكنّي فيما بعد علمت أنه سيد جليل، خادم من خدام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إنه السيد عماد الحسيني كما يطلق عليه هناك.

بادرت إليه، وسألته بنفس الطريقة التي سألت فيها السيد أبو علي البطاط. فإذا به يتأمل ثمّ يقول هذا العباس عليه السلام، قال ذلك دون أن تكون له إحاطة بجواب من سبقه ودون أن يكتشف داخلي لمعرفة هذه الشخصية، ثمّ بدأ بعض الإخوان منهم صاحب المنزل (السيد عبد الرزاق أبو رغيف) يأتون إلى الزاوية التي نجلس فيها وينظرون، وسبحان الله لم يكن أحد منهم إلا وقال هذا العباس عليه السلام.

السؤال الآن.. كيف العباس.. ولماذا العباس.. وما سر هذا الاتفاق على أنه العباس؟

والجواب، أنه هذا السر، لا تدركه الكلمات ولا تحيطه العقول، بل تفيض به القلوب التي في الصدور..

القلوب الممتلئة محبة لله عزّ وجلّ ولرسوله وأهل بيته سلام الله وتحيته عليهم أجمعين، هو النور الذي ينطلق مشعاً من أعمق نقطة في الروح نحو نافذة البصر. العين والحمد لله رب العالمين.

توجه إلى السيدة أم البنين فزال الورم

ينقل الأخ الثقة أبو فاطمة الدكتور حسن جودي الحلي بأنه بعد مجيئه من سنغافورة إلى الدانمارك، غزته الآلام بصورة مفاجئة، وأخذ جسمه يتعرّق بكثرة، مع فقدانه لشهية الطعام بالمرة، وكان ذلك عام ١٩٩٧م.

راجع الطبيب العام، وكان من الأطباء الحذقين وصاحب عيادة طبية معروفة في كوبنهاغن، وسريعاً أجرى له الفحص بالناظور، وبعد أيام تبيّن بأنه قد حصلت عنده أورام في الأمعاء الغليظة.

يقول لي الدكتور أبو فاطمة: وكنت بنفسي أشاهد مع الطبيب منطقة الورم بقدر الجوزة الصغيرة، وعند ذلك اتجهت وبنفس اللحظة إلى سيدتي أم البنين عليها السلام وخاطبتها: (موصعبه عليك تزيليه الآن). ليس صعباً عليك يا سيدتي أن تزيلي هذا الورم الآن.. يا أم البنين..

يقول جاؤوا بالمقص والأدوات الجراحية، وبعد حدود النصف ساعة أعاد الطبيب النظر في المكان نفسه، أخذ يبحث عن الورم، فما رأى له عيناً ولا أثراً. تعجب الطبيب الجراح وقال ليس هناك أي ورم!!

أخبره الدكتور أبو فاطمة: أنا توجّهت الآن إلى جانب معنوي، فتعجب الطبيب من كلامه.

الدكتور حسن يحدّثني وعلى خلاف عادته كان يكثر من القسم والأيمان، وذلك لتألقه عندما ينشد إلى تلك اللحظات الذهبية التي شملته أم البنين برعايتها، وهكذا عهدنا بها لمقامها العظيم عند الله عزّ وجلّ.

تمت العمرة ببركة أم البنين عليها السلام

نقل الدكتور حسن جودي الحلي خادم حملة القائم عجل الله فرجه الشريف أنه كان معه بعض المؤمنات في الحج، وعند ارتداء الإحرام لأداء الطواف، كان معهن طفل اسمه محمّد، له من العمر أربعة أعوام تقريباً. وبما أن الصغير يلزمه تأدُّباً ما للكبير من جهة ملابس الإحرام والطواف.

يقول الدكتور: فرأينا الطفل يبكي وبلا هوادة، ونحن عندما نحاول أن نكسوه بالإحرام، كان يشتد بكاؤه وبشكل ملفت للنظر.

يقول: ولما لم أجد بُدّاً توجهت إلى سيدتي أم البنين عليها السلام غاية التوجه، وطلبتُ منها تهدئة الطفل وإقناعه بتقبل لباس الإحرام، فحصلت المفاجأة، وإذا الطفل محمّد يترك البكاء ويهدأ ويتكلم بلهجته البريئة قائلاً: «أريد أن ألبس ولكن بشرط، أنا بنفسي ألبس».

فوافقناه ولبس الإحرام وتمت العمرة بروحانية وسلام من بركة نظرة رحيمة لسيدتنا الكريمة «أم البنين».

نذر لأم البنين في الروضة العباسية

نقل السيد سلمان هادي طعمة في كتابه أم البنين عليها السلام ثلاث كرامات أحببت إيرادها تعميماً للفائدة والتزوّد من هذه المائدة.

الكرامة الأولى

في عام ١٩٦١م وفي مطلع الشهر السابع منه كان ـ توفيق أفندي ـ وهو موصلي الأصل، متواجداً في كربلاء بحكم الوظيفة، وشعر بألم في مثانته، راجع أحد الأطباء المختصين في العاصمة بغداد، وبعد الفحص والتحليل، أعلمه الطبيب بأن في مثانته حصاة من الكبر بحيث لا سبيل إلى إخراجها إلا بعملية جراحية.

فاتفق مع الطبيب على موعد لإجرائها، وعند عودته إلى كربلاء كان في حالة إحباط نفسي شديد، فمضى إلى زيارة الإمام الحسين وأخيه العباس، وقبل عودته إلى أهله صادف أحد الشبان في الروضة العباسية المطهرة يوزّع على الناس (آب نبات) وهو قطع صغيرة من السكر ذات ألوان صفراء تعارف عليها أن تنذر لأم البنين، تناول توفيق أفندي قطعة منها ونذر أن يوزّع من (الآب نبات) كيلوغراماً لوجه الله تعالى بجاه أم البنين إذا تم شفاؤه من هذه المحنة القاسية.

وفي صباح اليوم التالي شعر بأن الحصاة تمنع بوله تماماً، وبعد ألم ومعاناة شديدين خرجت الحصاة لوحدها، فهاله منظرها وخرج إلى الشارع فرحاً وهو يصيح بصوتٍ عال:

الحمد لله، الله أكبر، شكراً لك يا أم البنين، ثمّ توجّه إلى الروضة العباسية وأوفى نذره والحمد لله أولاً وآخراً.

وذكر السيد سلمان أيضاً هذه الكرامة.

نادت يا أم البنين وقت الشدة

في ليل حالك من أوائل ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م كان عبد الحسين يقود سيارته ومعه عائلته وأطفاله في طريق العودة من نزهة قصيرة قضوها خارج بغداد، متّجهين إلى

منزلهم، تعطّلت الماكينة فجأة، وهم في منتصف الطريق، فحاول عبد الحسين العثور على سبب العطل فلم يستطع، وكان الشارع خالياً من المارة، وحتى المركبات كانت المسافة بين واحدة وأخرى تكاد تكون طويلة ومسرعة، فلم يستطع الحصول على مساعدة من أحد.

فظلّ عبد الحسين حائراً والزوجة قد أصابها الذعر بسبب الظلام الدامس وانقطاع الطريق عن المارة، فأخذت الزوجة تدعو الله تعالى بجاه أم البنين التي لها من الكرامات ما يروى عن ألسنة الرواة طالبة الحصول على المساعدة اللازمة لتشغيل الماكينة، وإذا برجل مستطرق فسأله صاحب السيارة عما إذا كانت له خبرة في السيارات، فأجاب لا بأس، وقام بفحصها، ثمّ قال: عليك بنقل السيارة بواسطة (ساحبة عنتر).

وذهب الرجل إلى سبيله ونادت الزوجة بصوت خاشع وحزين: يا أم البنين دخيلك.. أنقذينا من هذه الشدة.

حاول عبد الحسين تشغيل الماكينة مرات عدة، حتى بدأت تشتغل ببركة أم البنين، أخذت السيارة تطلق ساقيها للريح حتى وصلت إلى المنزل، وظلّت الزوجة تكرر قولها «يا أم البنين دخيلك».

وهذه القضية واقعية، يقول آل طعمة لمسناها بالعيان ممن لهم صلة القربى بنا ونحن واثقون من روايتها، وهي واحدة من آلاف الكرامات. . .

حمل المرأة ببركة سفرة أم البنين

ونقل السيد سلمان هادي طعمة عن كتاب (أم البنين رمز التضحية والفداء) للشيخ عبد الأمير الأنصاري هذه الكرامة قائلاً:

إن امرأة تدعى (وزيرة) خرجت من بيتها في مدينة الكوت العراقية وهي متجهة نحو بيت الحاجة أم عبد الأمير وقد أعدت مجلساً وعندما حضرت المجلس وتطرق القارئ في ختام نعيه الأول لمصيبة أم البنين خشع قلب (وزيرة) لبكائهن، وعندما انتهى القارئ من النعي الختامي دعا للمرضى بالشفاء، وبعدها فُرشت سفرة أم البنين، والنسوة يتبرّكن بما فيها، وهن حول سفرتها يلتمسن الشفاء وقضاء الحوائج. فأخذت (وزيرة) منها ويداها ترتعشان، ثمّ قامت وخرجت والدمع في عينيها إيماناً وخشوعاً، وعند المساء أكلت هي وزوجها من ذلك الزاد.

مرّ شهر أو أكثر ووجه (وزيرة) يميل إلى الاصفرار ودوار في الرأس يصحبه زكام في الصدر، قليلة الاشتهاء إلى الطعام، راغبة

عن زوجها متنفّرة منه، كثيرة النوم، تتضايق من الأماكن المزدحمة، تتثاقل من كل عمل يعطى لها، تحس بالتقيؤ.

قال لها زوجها: ما بك يا (وزيرة)؟ أمريضة أنت؟

قالت: لا أدري.

فأخذها إلى الطبيب وبعد أن فحصها الطبيب قال: لا شيء، إنها من علامات الحمل، وللتأكد من ذلك نذهب غداً إلى مركز التحليل.

عندها أجهش الزوج بالبكاء من شدة الفرح وهو يقول: أأنت مطمئن يا دكتور؟!

فيجيبهُ وبلا تردد: نعم.

ومرّ سواد الليل وهما يتقلبان في فراشهما والخيال يحاورهما بالأمل، وعندما أسفر الصبح وبدأت الحياة والحركة في شوارع المدينة ذهبا إلى المستشفى لإجراء التحليل، وبعد انتظار، والفكر يعتصر الفؤاد، نادى الموظّف باسمهما نهضت وهي لا تقوى على حمل نفسها، فأسرع زوجها وقال: نعم، ما النتيجة؟

فنظر الموظف في ورقة التحليل وقال: مع الأسف إنها حامل.

فطار زوجها فرحاً، وهو يقول الشكر لله، الحمد لله، ثمّ

ضم (وزيرة) بجوى قلبه، وهو يقول لا أكاد أصدق، وبدت على شفتيها ابتسامة الأمل، فتلتئم تلك الجراحات المعذّبة.

وعندما دخلا البيت سجدا لله شكراً، وذيع الخبر وعمّت الفرحة والدهشة بحملها، وبقي نذر أم البنين مدفوناً في صدرها.

لقد أصبح الزمن عندها كمسير شيخ جاوز التسعين وهي ترتقب الجنين، ونصائح النسوة تملأ فكرها، فينمو الخوف في نفسها، وهي متحذرة من المصير.

وذات يوم وهي في شهرها الثالث والألم يعتصر بطنها ضارباً ظهرها فيدب الحزن فيها، والأهل يتسارعون بها إلى المستشفى، وزوجها يقبّل يد الطبيب متوسلاً إليه بحفظ الجنين، والطبيب يقول: هذا بأمر رب العالمين، إن أراد حفظه، وإن أراد أسقطه، وكما أنها لا تحتاج إلى دواء، بل الراحة وعدم الحركة، وتبقى هنا ثلاثة أيام.

عندما سمعت (وزيرة) كلام الطبيب استغاثت بحرقة وحنين بأم البنين، فخفّ عندها الألم، وعادت البسمة إلى شفاه الزوج والأهل والمحبين.

مرّت الأشهر ودخلت شهرها التاسع، وعند مطلع فصل الربيع، وقبل أذان الصبح بسويعات أخذها الطلق. الأهل

والجيران رافعين أيديهم بالدعاء والتكبير لسلامتها وسلامة طفلها، وعندما أذّن المؤذن ومع شهادة أن علياً ولي الله وضعت (وزيرة) حملها، فتباشروا بفرح وسرور رغم أنها أنثى.

قالت (وزيرة): سموها فاطمة تيمناً بأم البنين، إلاّ أن أهل الزوج قالوا: بل عائشة، وفضًّا للنزاع سمّيت الطفلة (بشرى) وكفّرت (وزيرة) عن يمينها...

قرأ سورة الفاتحة وأهداها إلى أم البنين

في أرض قم المقدّسة، ينقل الخطيب الحسيني السيد أحمد الحكيم، وهو من أصدقائنا قائلاً ما مضمونه:

استلمت دعوة من بعض الإخوة اللبنانيين القاطنين غرب أفريقيا، استلمتها لغرض التبليغ الإسلامي في آخر ذي الحجة عام ١٤١٦هـ، لإحياء ذكريات عاشوراء. فجعلت مسار الرحلة من طهران إلى جدة ثمّ إلى غرب أفريقيا. ولما وصلنا مطار جدة كان المكوث القليل (الترانزيت) لمدة ٦ ساعات، ولكن قبل إقلاع الطائرة بربع ساعة، جاءني أحد موظفي المطار وقال لي: ليس لديك (ويزة المغرب) رخصة المرور من المغرب.

قلت له: أنا فقط أمر من المغرب.

فأجاب: هذا أمر غير قانوني ويجب عليك أخذ الويزة.

طلبت منه أن يأخذني إلى الموظف المغربي لكي أتحدث معه، ولكن المغربي هو الآخر أجابني نفس الإجابة.

قلت له: طيب، أنا بنفسي عبرت قبل ثلاثة أشهر بدون ويزة، لأن مروري مجرّد (ترانزيت).

أعاد عليّ الروتين قائلاً: هذا أمر غير قانوني.

هنا خطر على بالي أن أتوجّه بالسيدة أم البنين وأقرأ لها سورة الفاتحة، وأطلب منها تسهيل الأمر.

ولما وصلت في قراءتي إلى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، نظر إليَّ المأمور المغربي وسألني أين حقائبك؟

قلت له: إن الحقائب في الطائرة.

وهنا تغير حاله وكفّ عن العناد وقال لي: تفضل اصعد إلى الطائرة.

وكان لدي بطاقة، تذكرة عادية ومع ذلك حوّل مكاني إلى الدرجة الأولى في الطائرة.

وما حصل هذا التسهيل إلا من خلال التوجه لها، وهدية بسورة الفاتحة إلى روحها القدسية، لأنها بابٌ من أبواب الحوائج عند الله تعالى...

أهدت صلوات إلى أم البنين فشفي ولدها

نقل حجة الإسلام السيد جواد الموسوي الزنجاني إمام جمعة زنجان في الجمهورية الإسلامية في إيران قائلاً:

في يوم ما كان أحد أولادي مريضاً، وعندما رجع من مدرسته، كانت حالته سيئة للغاية، بحيث كان وجهه قد تغير.

أخذته إلى الطبيب، وبعد إجراء الفحص الطبي، لم يوفّق الطبيب للتشخيص الحقيقي للمرض، فقال: إنه قد أصابه البرد، وكتب له الدواء ثمّ قال لنا: إذا اشتدت حالته، فما عليك إلا أن تتصل بي في مستشفى سينا.

يقول السيد: لما أخذت له الدواء، وتناول منه شيئاً في المساء، أخذت حالته تشتد سوءاً، فاتصلت بالطبيب ثمّ أخذته إلى المستشفى، وعندما أجريت عليه الفحوصات تبيّن أنه مصاب في تورّم بالمخ.

قررت لجنة الأطباء إبقاءه في المستشفى لاتخاذ الإجراءات المناسبة للعلاج.

مضى أسبوع كامل، وكانت حالته تشتد حتى غاب عنه الوعي بالمرة، وقالوا: إنه إذا شفي فإنه يصاب بالشلل.

وكنا في ليلة التاسع من المحرم، وكادت أجواء اليأس تخيّم

علينا من شدة المحنة، وعندها توجهت إلى القبلة وصليت ركعتين، وبعدها أهديت مائة صلاة (اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد) إلى السيدة أم البنين، وتوسلتُ بها وبولدها أبي الفضل العباس بأن يكونا وسيلتنا عند الله في شفاء ولدي.

في صباح اليوم الثاني اتصلوا بي من المستشفى وقالوا: إن ولدك بخير، وكأنه ما كان مريضاً.

وبالفعل رأينا الولد على أحسن حال من بركاتهما.

يقول السيد: لقد رأت إحدى المؤمنات من جيراننا في المنام، أن أبا الفضل العباس يقول لها: إن السيد الموسوي أراد مني أن أكون وسيطاً في شفاء ولده وكنت كذلك، وأنا أريد منه الاهتمام بخدام الحسين في شهر محرم وخدمتهم.

يقول السيد: ولهذا الأمر التزمت باستضافة خدّام الحسين عليه السلام إلى منزلنا سنوياً، وبأن أذبح لهم الذبائح وأعد لهم الطعام في شهر محرم الحرام..

رفض زيارة أم البنين فرأى أبا الفضل العباس عليه السلام

نقل المرحوم الحاج عبد الرسول علي الصفار الذي كان رئيس غرفة تجارة بغداد:

بأنه كان عام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠م قصد حجّ البيت الحرام وزيارة الرسول الأكرم وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم يقول:

كان برفقتي السيد هادي المكوطر من رؤساء عشائر الفرات والشيخ عبد العباس آل فرعون رئيس عشائر آل فتلة. فتشرفنا بزيارة الرسول وأئمة البقيع والإقامة في الأرض الطيبة، المدينة المنورة.

في عصر يوم من الأيام قصدنا زيارة قبور أئمة البقيع عليهم السلام وبعدها زيارة قبور الأصحاب والمقرّبين، ولمّا وصلنا إلى قبر فاطمة بنت حزام (أم البنين)، وقلت للشيخ عبد العباس: هيا بنا لنتبرّك بزيارة أم البنين العظيمة.

فأجابني من دون اهتمام: هيا بنا، أتريدنا نحن الرجال نزور النساء؟!

تركنا وخرج من البقيع، وبقيت أنا والسيد هادي مكوطر في الزيارة، وبعدها عدنا إلى البيت، وكنت أنام مع عبد العباس في نفس المكان.

ولما استيقظت صباحاً لم أجد عبد العباس في فراشه، انتظرته طويلاً فلم يظهر، قلقت عليه، سألت السيد هادي فلم يعرف عنه شيئاً، وفي هذه الدوامة، دخل علينا عبد العباس وهو

في حالةٍ من الحزن والبكاء.

سألناه: أين كنت، وماذا جرى في حالك؟

قال: اتركوني، ودعوني لأستريح قليلاً....

وبعد الاستراحة قال لنا: أتذكرون في الأمس لما رفضت زيارة أم البنين وخرجت من البقيع؟

قلنا: بلى.

قال: رأيت في عالم الرؤيا كأنني في روضة أبي الفضل العباس عليه السلام والناس يدخلون ويزورون القبر الشريف، وحينما عزمت الدخول منعت منه، وهناك تساءلت: لماذا لا أستطيع الدخول؟

أجابني خادم الروضة العباسية: إن هذا أمر مولاي وسيدي أبي الفضل العباس.

قلت: لماذا؟

قال: لا أدري.

وكلّما حاولت الدخول كان الخادم يرفض دخولي للزيارة، وتوسّلت وبكيت وبدون جدوى، حتى تعبت لأنني أتوسل بدون فائدة. فسنحت لي فكرة أن أطلب من الخادم أن يذهب هو إلى

أبي الفضل العباس عليه السلام ويسأله عن السبب.

ذهب الخادم ورجع وهو يقول: يقول مولاي أبو الفضل العباس: لماذا لم تهتم لزيارة والدتي؟ وأنا لم أرض لزيارتي حتى تذهب لزيارة والدتي...

وها أنا ذا استيقظت مضطرباً من هذا المنام، وذهبت إلى زيارة قبر أم البنين عليها السلام معتذراً من عملي القبيح، ومتوسلاً مستغفراً، وها أنا رجعت الآن من زيارتها، اللَّهُمَّ ارزقنا في الدنيا زيارتها وفي الآخرة شفاعتها إنه سميع مجيب...

أم البنين تمسح على الصبية المقعدة فتقوم

نقل لي الشاعر الحسيني أحمد الكرعاوي عن أحد الخطباء:

كان في لبنان صبية مقعدة، تشرفت في حضور مجلس أم البنين وفي غمرة الحزن والبكاء على مصيبة السيدة أم البنين بكت هذه البنت كثيراً، ولمّا انصرف الناس من المجلس، وإن أهل هذه البنت قد نسوها، بقيت الطفلة نائمة هناك.

وإذا بألطاف أم البنين قد أدركت هذه الصبية العليلة، إذ رأتها في نومها وهي تمسح عليها بعد أن أَخَذتها وأقامتها ثمّ أرشدتها الطريق، وقامت تمشي معها حتى رآها الأهل والعائلة، وقصّت عليهم هذه الكرامة فعلموا أنها أم البنين عليها السلام.

نَذَرَ لأُم البنين عليها السلام فَأُنقِذَ من المأزق

نقل الشيخ علي مير خلف زادة ما جرى لأحد المؤمنين قائلاً:

اشتريت منزلاً قديماً عام ١٣٦٥هـ.ش. أي ما يقارب عام ١٩٨٥م، وكان البيت خربة لعدم الاعتناء به من نازليه القدماء، ولتعرّضه للثلوج والأمطار الغزيرة وبدون إصلاح أو تنظيف.

بعد استلام البيت، قررت أن أبني فيه حماماً، ولمجرّد أول ضربة حجر وقع السقف، فكرتُ ماذا أصنع وأنا لا أملك ما يكفيني للبناء.

تركت الأمر إلى إشعار آخر، وبعد عدة شهور أدركني الفرج وحصل عندي ما يكفي، وباشرت في البناء، ولمّا أتممته جاء مأمور البلدية للاطلاع والتأييد، وإذا به يتحجّج باتخاذ الإيرادات، وخلق العيوب سواءً كانت موجودة هذه العيوب أم غير موجودة.

وبعد تعنّت من المأمور وعناد، توجّهت إلى السيدة أم البنين عليها السلام فنذرت مائة صلاة (اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد) تهدى إلى روحها القدسية، إذا أنقذتني من هذا المأزق.

وبالفعل لمّا أديت الصلوات، جاء الرجل وقال لي:

ليس لديك أية مشكلة، ثمّ أعطاني الموافقة بعد يومين لا أكثر، والحال أن مثل هذه المشاكل تستغرق عدة أشهر لحلها، لكن هذه الغمة كشفت من بركاتها عليها السلام.

حصل على الفيزا العراقية ببركة أم البنين عليها السلام

لقد أعارني السيد الصدر الخادمي المشرف على مسجد الإمام علي في كوبنهاغن كتاباً فارسياً، ترجمة عنوانه (النجمة المشرقة في البقيع) فيه عدّة كرامات ومنها:

يقول السيد طيب الجزائري رحمه الله:

كنت في النجف الأشرف بجوار المولى أمير المؤمنين عليه السلام مشغولاً في الدرس والتحصيل، وكنت أخرج مرة في كل عام إلى التبليغ الإسلامي في باكستان وبالتحديد في أيام المحرّم.

وفي عام ١٣١٤هـ.ش. أي عام ١٩٣٥ تقريباً لما رجعت من الباكستان جعلت طريقي إلى مشهد المقدسة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وبعد الزيارة، التقيت بأحد علماء باكستان في مشهد، وفي تبادل الحديث سألته عن مقصده، فأجابني العودة إلى الباكستان.

قلت له: أليس من الأفضل أن نذهب إلى النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام؟ وأنكَ بلغت نصف الطريق...

فكّر العالم الباكستاني وقرر أن يأتي معي حتى إلى كربلاء المقدّسة.

ذهبنا إلى طهران، وإذا بالسفارة العراقية قد غلّقت الأبواب، والمراجعون مزدحمون وكان يبدو من المستحيل الحصول على تأشيرة الدخول (الويزة)، لأن وقت المراجعة محدود مع كثرة المراجعين، وكان بعض الأشخاص يقول إنه في الانتظار من يومين وهكذا.

فكلّمت الشيخ الباكستاني: هل تريد أن تذهب إلى كربلاء؟

فأجابني: إذن لماذا أتيتُ من مشهد إلى طهران.

قلت له: جيّد، انذر (ألف مرة) صلوات (اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد) إلى السيدة أم البنين، وأنا أيضاً أفعل وسوف نحصل على الويزة.

وفي حالة الانتظار أمام السفارة وفجأة قال الشيخ:

تذكّرت أنه معي رسالة أريد إيصالها إلى سكرتير السفير الباكستاني، وما دمنا هنا فالسفارة الباكستانية ليست بعيدة فدعنا نذهب إليه.

فاستأجرنا سيارة أجرة، وصلنا السفارة ورأينا السكرتير الذي استقبلنا بكل احترام وتقدير ثمّ سألنا أين مقصدكم؟

قلنا: إلى النجف الأشرف.

رغب في المجيء معنا للزيارة، وبحث عن أوراق السفر وبعد وقت طويل، اعتذر عن السفر معنا، أصابنا شيء من اليأس لأنه لم يبقَ إلاّ ساعتين من استقبال السفارة العراقية للمراجعين.

السكرتير الباكستاني كتب رسالة إلى القنصل العراقي وقال: عسى أن تفيدكم هذه الرسالة.

أخذنا الورقة وذهبنا إلى السفارة العراقية، كنت أفكر كيف يمكننا أن نرى القنصل؟

الدوام قريب الانتهاء، اتجهت إلى أم البنين عليها السلام وخاطبتها:

«يا أم البنين أريد الويزة هذا اليوم وليس غداً، لأنه لو أخذنا اليوم فهذا يعني أنها من بركاتِك وأنت قد سهّلتي لنا ذلك».

قريب الباب، انفتحت واستطعنا الدخول بسهولة، سَألَنا الموظف: لماذا أتيتم؟ فما أجبته بشيء، أعطيته الورقة، قال:

انتظروا هنا وذهب، لكنه رجع قائلاً: هل عندكم صور؟ وأعطانا الاستمارات وقال:

عجّلوا بالكتابة لأن القنصل يريد الذهاب، فملأنا الاستمارات وأعطيناها إياه لأن الساعة قريب الواحدة بعد الظهر وكنا في قلقٍ شديد.

وفي تمام الساعة الواحدة فتحت أبواب الفرج، واستلمنا الجوازات وفيها إشارات السفر لمدة ثلاثة أشهر، وبكيت من شدة الفرحة، وذهبنا إلى السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام وبعد زيارته، باشرنا الصلوات التي نذرنا للسيدة أم البنين عليها السلام لأن الذي حصل لا يُصدَّق، ولكنه كان قد حصل ببركاتها لمكانتها عند الله تعالى...

اللقاء ببركة أم البنين عليها السلام

نقل لي الشيخ أبو مهدي الطائي في مسجد الإمام علي عليه السلام في كوبنهاغن قائلاً:

لقد وقع الفراق لسنين طويلة مع الأهل والإخوان حيث البعد عن الديار والأوطان كما هو شأن الكثير من العراقيين.

ففي هذا العام ٢٠٠٥م، التقى بشقيقه إبراهيم كاظم راشد الطائي بعد فراق طويل بينهما جرّاء ظروف حكومة الغدر

والخيانة، فمرت السنون العجاف، وبعد فرحة اللقاء في مراسيم الحج حيث اللقاء بالأخ الشقيق ولم تدم الفرحة إلا قليلاً وإذا بأخي إبراهيم، كما يقول الشيخ أبو مهدي وإذا بإبراهيم قد افتقد وضاع بين الحجاج، وإن أمواج الحجيج حالت بينه وبين لقائه، وأين يحصل اللقاء في هذا المشهد المزدحم.

يقول: فكّرت بأنه ليس لي إلا التوجه إلى سيدتي أم البنين عليها السلام، نعم ليس لي إلا أم البنين، فرجعت إلى السكن وإذا بي أرى أخي أمامي، وتمت الفرحة في إتمام اللقاء ببركاتها عليها السلام.

سهلت مواصلة السفر ببركة أم البنين

نقل لي الحاج رياض عبد الواحد البصري (أبو رعد) في كوبنهاغن:

اتفقت مع بعض الأصدقاء على السفر عائلياً إلى السيدة زينب عليها السلام وكانت المسافة الطويلة من الدانمارك إلى سوريا تستغرق عدة أيام.

وأثناء المسير في الأراضي التركية لاحظت حرارة السيارة غير طبيعية، ولما بدأت بوادر العطل، طلبت من رفيق السفر أن يبقى معنا فرفض معتذراً ثمّ استدرك الموقف قائلاً:

أنت تسير ونحن خلفك، وبعد الموافقة الظاهرية، وإذا به يتركنا ويمضي سريعاً، وما أسرع من أن يتعطّل المحرك بعده، فنزلنا إلى الجانب الترابي من الشارع العام، فبقينا لوحدنا حيث لا صديق ولا مساعد.

يقول الحاج أبو رعد:

فتوجهت من الأعماق متوسلاً بالسيدة زينب عليها السلام قائلاً: «سيدتي أنت تُنقذيني من هذه المحنة».

وبمجرّد التوسل جاءت سيارة فيها امرأة محجّبة معها رجل، فتوقفا عندنا وبعدما عرفا القصة، قال لي الرجل: أنا اتصلت لك بالميكانيكي وسوف يأتيكم صباحاً، وأما الآن فهلموا معنا، وكان الوقت ليلاً، وبعد إصرارهما ذهبنا معهما إلى المنزل، وإذا بالمائدة أُعدت من كل ما لذّ وطاب من بركة السيدة الحوراء زينب عليها السلام وفي صباح تلك الليلة جاء الميكانيكي ثمّ أجرى الفحص اللازم، لكنه اعتذر عن تصليح العطل لعدم توفر الوسائل الموجودة عنده فانصرف.

ولما بقينا لوحدنا مرة أخرى في الشارع العام، توجهت للسيدة أم البنين عليها السلام وتوسلت بها من قلب تعتصره اللوعة، ولم تمض إلا دقائق معدودة، وإذا بشاب قصدنا، وهو يسألني: هل تتكلم الإنكليزية؟

قلت: نعم.

وبعد مكالمة في الهاتف النقال قال لي: سيأتيكم الميكانيكي حدود الساعة الرابعة من أنقرة، حيث تبعد عنا مسافة ٤٦٠كلم تقريباً، يأتيكم ومعه المعدات اللازمة وسيصلح السيارة ثمّ انصرف عنا.

وبالفعل لقد أدركتنا عناية السيدة أم البنين عليها السلام وجاءنا الميكانيكي، وقام بخدمتنا على ما يرام، وأصلح (الووتربام) وباقي العطل، فعرضت له أجرة التصليح فاعتذر قائلاً: «الحساب واصل ثمّ ودعنا وذهب، وكان هذا التسهيل من بركة التوسل بالطاهرة أم البنين عليها السلام».

إن الله يستجيب لمن يدعو بخالص النية

قال أحد المؤمنين:

كانت زوجتي التي اسمها معصومة قد أصيبت بمرض اليرقان عام ١٩٦٥م، وذهبنا إلى مختلف الأطباء، وعلى قسمي الطب الحديث والطب القديم، وبدون جدوى، وكانت حالتها سيئة للغاية، ومما يضاعف الآلام هو إهمالنا لطفلينا الصغيرين.

في ليلة ما توجهت لسيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام فكتبت

له عريضة ورميتها في عين جارية، طلبت فيها أن يشافي زوجتي ويدرك أطفالي.

بعد عدة أيام استيقظت لصلاة الفجر، فرأيت زوجتي غارقة في نوم عميق، وليس لها صوت أو أنين. ولما أديت الصلاة استيقظت زوجتي وهي تبعث الصلوات باستمرار (اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد) وتقول: لقد شفاني العباس روحي له الفداء...

فتحسستها ورأيتها على أحسن حال من الصحة والعافية.

سألتها: ماذا حدث لك؟

قالت: كنت في ليلة أمس مضطربة جداً، ولم يأتني النوم فتوسلت بالعباس أن يشافيني أو يهدئني لكي آخذ قسطاً من النوم. فهيّأ الله تعالى ذلك، فغفوت على نوم رأيت فيه رؤيا حسنة مباركة.

رأيت كأنني كنت في صحراء واسعة تنتهي إلى نهر دجلة، وحوله نخيل كثيرة يتوسطها قصر كبير من طابقين، وكل طابق يحتوي على حجرات متعددة، ورأيت مجموعة من الناس يتراكضون نحو القصر.

سألت أحدهم: إلى أين أنتم ذاهبون؟ ولماذا؟

قال لي: نحن مرضى ولدينا حوائج ومشاكل، وهذا القصر يسمّى بيت الشفاء (بيت شفاء أبي الفضل العباس)، وأبو الفضل الآن في ذلك القصر، أتى ليقضي حوائجنا ونحن ذاهبون إلى القصر حتى يقضي حاجاتنا ويحل مشاكلنا.

فصممت أن أذهب معهم لكي أنال الشفاء.

وحين دخولي القصر، ما كنت أعلم أين يوجد العباس عليه السلام، وفي الأثناء نزل رجل عظيم من الطابق الثاني وقال لي: أنا أبو الفضل، اصعدي واذهبي إلى أول حجرة على يدك اليمنى، ادخليها ستجدين امرأة جالسة هناك، كوني في خدمتها حتى آتي لشفائك.

ذهبت إلى تلك الحجرة، فرأيت امرأة ذات وجه نوراني، وهي كبيرة السن وكانت جالسة، فسألتها عن اسمها، قالت لي: أنا أم البنين.

ثمّ قالت: أنا منذ أيام ما رأيت ولدي العباس عليه السلام بسبب انشغاله في قضاء حوائج الناس، واليوم أتيت لأراه، فاجلسي هنا فإنه سوف يأتي ليقضي حاجتك بإذن الله تعالى.

وعند ذلك دخل ذلك الرجل العظيم، مسلّماً على أمه أم البنين وقال لها: يا أماه، منذ أيام لم آتِ لزيارتك، وذلك من

أجل شيعتنا الذين يتوجهون بنا إلى الله تعالى، ويتوسّلون بنا لحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم، وأنا ذهبت إلى الرسول ﷺ، ووالدي أمير المؤمنين، وأمي فاطمة الزهراء وأخواي الحسن والحسين عليهم السلام، ذهبت إليهم لكي ندعو الله تعالى، ليحل مشاكلهم ويقضي حوائجهم ويشافي مرضاهم، والخالق المجيب يقبل دعاءنا في حقهم.

ثمّ توجّه أبو الفضل إليّ قائلاً: وأنت أيتها المرأة، لقد دعونا إليك في هذا اليوم، فتقبل الله تعالى دعاءنا في شفائك.

وقالت بعد ذلك أم البنين عليها السلام: نعم إن الله عزّ وجلّ، ببركة ولدي أبي الفضل العباس عليه السلام، يستجيب إلى كل من يدعو بخالص النية...

[في هذا الوقت غابا عني، وأنا استيقظتُ من النوم، وأنا في صحة وعافية]...

أم البنين حضرت في السجن

حدّثني الحاج أبو علي الكاظمي في مسجد الإمام علي عليه السلام في كوبنهاغن عن كرامة للسيدة أم البنين حصلت مع ولده علي عندما كان معه في السجن قائلاً:

كان لي شقيقة مؤمنة لها ثلاثة أولاد أيتام بعد إعدام أبيهم

عام ١٩٨١م ومضت الأعوام حتى عام ١٩٩١ حيث اشتركت هذه الأخت مع أولادها في الانتفاضة الشعبانية المباركة، وبعدها هربوا إلى مدينة «طويريج»، وبعد عشرة أيام تقريباً اتصلت بنا تلفونياً، فذهبت إليهم مع أحد المعارف، فجئنا بهم إلى بغداد، فلم تمض إلا أيام معدودة وبعدها أُخبرنا بأن المنظمة البعثية قد وصلَهَا تقرير مفادُه بأن امرأة مع ثلاثة أولاد في المنزل الفلاني.

وبيسر من الله تعالى سارعنا إلى إخراجهم بعيداً، ومن ثمّ فتح الله لهم طريق الهجرة فسافروا إلى الحجاز.

وبعد أسبوعين تقريباً قامت المخابرات الصدامية بمداهمة المحل، فاقتادتني مع ولدي علي إلى مديرية أمن الكاظمية ثمّ إلى دائرة أمن بغداد.

في التحقيق سألونا عن شقيقتي وأولادها وأنا أرفض علمي بها أو معرفتي بحالها.

وفي هذه الليلة توجَّهَت والدتي العلوية مع زوجتي أم علي إلى الله عزّ وجل وتوسَّلَتا بالسيدة أم البنين عليها السلام لكي يفرّج الله عنا ويُنجّينا من السجن.

وبينما ولدي علي كان معي في السجن وإذا به يرى ليلاً

امرأة عليها سيماء المهابة والصلاح، مرتدية عباءة سوداء، وهي تقول له:

«أنا المظلومة، أكرمني ربي بأن أقضي حاجة المكروب وأفك أسر المظلوم وإن جدتك ووالدتك هما يعرفاني».

وفتَحتَ الأغلال من يدي...

وأنا أقول لها: إن الشرطي نائم معي في الغرفة.

قالت: لا عليك.

وإذا بها قد أخرجتني معها من الباب الرئيسي، وأخذتني إلى بيت خالي من مدينة الدورة في بغداد.

وقالت لي لحظات ذهابها: «لا تخبر أحداً عن مكانك إلى أن يطلق سراح أبيك، وأبلغ جدّتك وأمك عني السلام».

يقول علي:

وكأنني كنت نائماً واستيقظت، وإذا أنا أمام بيت خالي، فدخَلتُ عليهم صباحاً، فرأيتُهم وقد أثّر السهر والمعاناة على أوجههم، بسبب اعتقالنا، فحكيتُ لهم القصة فتهللت الوجوه وانشرحت القلوب لكرامة السيدة الجليلة أم البنين عليها السلام، وبعد فترة من الزمان، فرّج الله عنّي وأطلق سراحي من السجن، وكان ذلك من بركاتها عليها السلام.

جاءت أم البنين لها في المنام لشفائها

نقل عن السيد جعفر صادق الحسيني قائلاً:

إن الوالدة أصيبت بآلام شديدة جرّاء ما ابتليت به من أذى حصاة كبيرة قد تكونت عندها داخلياً، وهي كانت تطبخ طعاماً للسيدة أم البنين عليها السلام أحياناً كثيرة، وفي أثناء إقامتها إعداد طعام أم البنين، خاطبتها سيدتي أنا أطبخ لك هذا الطعام فلماذا تركتيني سيدتي؟

يقول: وكانت الوالدة أثناء ذلك في غاية التوجه والانكسار.

يقول: في تلك الليلة جاءتها السيدة أم البنين في منامها قائلة لها: أنا جئت لشفائك...

وقدمت لها قدح ماء فشربت..

وفي صباح تلك الليلة لا غير، ألقت الوالدة تلك الحصاة، ومن ثمّ ذهبت إلى المستشفى لإتمام الفحوصات ولتبيان الحال، وإذا هي في أتم الشفاء، حيث لم يجدوا في الصور الطبية أي أثر لأي مرض كان، وكانت هذه الكرامة أيام عام ٢٠٠٣م ولم يحدد التاريخ دقيقاً، لعلّه لسرعة عجلة الأيام والشهور في مسافة الزمن المعاصر...

تزوج بفضل أم البنين عليها السلام

يقول الأخ عمار الدراجي وهو من مدينة العمارة في العراق:

وفقت ذات يوم لأداء حج البيت الحرام، وأنا في أول زيارة لأئمة البقيع عليهم السلام وبعد ذلك ذهبت إلى قبر السيدة أم البنين بجوارهم، وفي أثناء زيارتها ذكرت ولدها أبا الفضل العباس عليه السلام وبكيت لمصيبته، ومن ثمّ طلبت من سيدتي أم البنين عليها السلام تسهيل أمر الزواج لكي أعف نفسي بهذه السنة الكريمة من امرأة مؤمنة صالحة.

يقول: لمّا أخذت من زيارتها وطراً، رجعت إلى زيارة أئمة البقيع مرة أخرى، وإذا بي أرى مؤمناً كان يزورهم بصوت حزين فوقفت خلفه أزور، وبينا أنا واقف أزور وإذا بشخص يضرب على كتفي قائلاً: يا حاج.. يا حاج تفضل، ثمّ قال لي: هذا عمك جاء من كندا، تفضل هذا إفطار، ولمّا أديت الاستجابة سألني: هل أنت متزوج؟

فقلت: لا.

قال: هذا مبلغ ألف وخمسمائة دولار لغرض زواجك، وهذا عمك جاء من كندا وعنده أموال قد أعدها لغرض التزويج فقط، وبعد محادثات ومطايبات معه ومع العم المؤمن

واستلمت المبلغ، ولكن ما أسرع المفاجأة السعيدة حيث رأيت امرأة مؤمنة من مدينة العمارة وتسهّل أمر الزواج منها ورُزقت محمداً وعلياً ونحن الآن على أفضل ما يرام من بركة السيدة أم البنين عليها السلام.

اقرأ الفاتحة هدية لأم البنين

في مدينة مالمو السويدية، عندما انتهيت من قراءة المجلس الحسيني، التقاني الحاج أبو هاشم الذي لا يرغب أن أذكره بالاسم، وقال لي:

بأنه ذات يوم افتقد مفاتيح شقته، وبقي حائراً يبحث عنها مراراً، يقول: ليس عندي شيء إلا وفتشته، وخصوصاً الملابس التي كانت أرتديها، ثمّ أعود أبحث عنها شأن الذين يفتقدون شيئاً مهماً عندهم.

وكان معي أحد الأصدقاء من المؤمنين الخيّرين فقال لي: اقرأ الفاتحة لأم البنين عليها السلام.

يقول: وبمجرّد أن قرأنا سورة الفاتحة هدية لأم البنين وإذا بي أجد المفاتيح في أحد جيوب السترة الشتائية التي فتشتها قبلاً، فكانت المفاجأة أن عثرت على عظمة هذا الكنز (أم البنين) وتركّزت معرفتها في قلبي أكثر.

اللَّهُمَّ لا تسلب من قلوبنا الهدى، وأمتنا على ولاية آل محمّدﷺ إنك سميع مجيب...

توجه إلى أم البنين وأقسم عليها بالحسين عليه السلام

اعتاد أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يطرقوا باب أم البنين ويتوجّهوا إليها عند الشدائد فتُسهّل وتلين وعند الأزمات فتنكشف.

على هذا الضوء، حدّثني السيد مكي الحلو في حسينية خدمة الحسين عليه السلام في كوبنهاغن، بأنه قُضيت له عشرات الحاجات من جنابها المقدس، وأن له هدايا لإحياء ذكراها فما يقدّم شيئاً إلا ويضاعف الله تعالى له الرزق، وأنه لم يقرأ على روحها الطاهرة سورة الفاتحة في شدّة إلاّ انفرجت أو غمّة إلا انكشفت...

وفي هذه المناسبة ننقل كرامة حصلت مع الدكتور حسن الحلي وهي كما يلي:

في ذات يوم من عام ٢٠٠٤م أصيب الدكتور أبو فاطمة بأوجاع وآلام في ظهره بحيث تعذّرت عليه الحركة البدنية، مرت ثلاثة أيام وهو لم يقوَ على النهوض إلا بشق الأنفس، زاره عُوّاده ودعا لشفائه أحباؤه.

قصدت زيارته فحصل التوفيق، وعند الانصراف، دعوتُ له

بإلحاح، واضعاً يدي على مكان الألم، وعزمت على الله تعالى بباب الحوائج موسى بن جعفر ثمّ حصلت حالة الانكسار والتضرّع، وأمسكت مكان الألم ثانية متوجهاً بأم البنين وأقسمت عليها بحبيبها الحسين عليه السلام أن تشافي أبا فاطمة.

فوالله ما مرّت إلا ساعة تقريباً، وإذا بالآلام تتبخر، وأصبح الدكتور العزيز على أحسن حال وهذا من بركاتهم عليهم السلام.

هذا الشفاء يحصل ببركة باب الحوائج

نقل الشيخ أحمد الصابري الهمداني عن المرحوم الحاج ملّة علي معصومي الهمداني قائلاً:

كانت امرأة مؤمنة من إحدى قرى همدان الإيرانية، قد مرّ على زواجها عدّة سنين دون أن تُرزق ولداً.

فمرّت عليها امرأة صالحة وقالت لها: انذري نذراً أن لو أعطاكِ الله تعالى طفلاً فسميه (أبو الفضل)، فامتثلت الأمر ونذرت النذر، وصاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاها.

وبعد مدة قليلة رزقها الله تعالى طفلاً وأسمته (أبو الفضل)، ولما صار عمر الطفل أربعة عشر أو خمسة عشر عاماً، أصيب بمرض عضال يصعب علاجه، وبعد مراجعة الأطباء الكثيرة ولم يشفَ الطفل، يئس الأهل من حياته. . .

سبحان الله، عادت نفس المرأة الصالحة، وقالت لوالدة (أبو الفضل): بخالص النية وبانكسار القلب توسلي بحضرة قمر بني هاشم عليه السلام حتى يتوسّط عند الله تعالى في شفاء ولدك.

في تلك الليلة توسّلت والدة الصبي بعبرة وأنين بأبي الفضل العباس عليه السلام وفي صباح تلك الليلة جاءتها نفس المرأة الصالحة، وقالت لها: إن ولدك سوف يشفى.

سألتها والدة (أبو الفضل): من أين عرفتي ذلك؟

فأجابتها المرأة الصالحة: لقد رأيت هذه الليلة في عالم الرؤيا، نساء يقصدن منزلك.

فسألتهن: إلى أين ذاهبات؟

فأجابتني من بينهن أم البنين عليها السلام نحن ذاهبات لنشفى (أبو الفضل) في هذا البيت، وهذا الشفاء يحصل ببركة باب حوائج أبي الفضل العباس.

وفي نفس الوقت ذهبت الوالدة إلى ابنها (أبو الفضل) فرأته على أحسن حال...

جئت أنقذك من أجل الحسين عليه السلام

في مارس ٢٠٠٥، ذكر سماحة الشيخ الخويلدي هذه الكرامة قائلاً:

في مدينة (صفوا) الخليجية، كان هناك طفل في الثالثة وأشهر من العمر ينتمي إلى إحدى العوائل المعروفة على مستوى المنطقة.

كان الطفل كثيراً ما يشاهد قناة المنار الفضائية، ومما حفظه منها لطمية أو أنشودة (أم البنين الحرة)، فكان الطفل يرددها كثيراً، وذات يوم وقبل تسعة أيام كان الطفل يلعب مع أخيه كرة القدم في الطابق الثالث، فسقطت الكرة من الأعلى فتسلّق الطفل وراءها، فسقط من الطابق الثالث إلى الأرض.

أثناء تسلقه كانت تلك الأنشودة على لسانه، وإذا به يهوى على رأسه من الأعلى، فذهب أخوه إلى أهله ليخبرهم، فما أن سمعت أمه الخبر، وإذا بها وقعت مغشياً عليها، فذهبوا به إلى المستشفى المواساة في منطقتهم، وبعد إجراء الفحوصات قال الطبيب للعائلة: إن ابنكم سليم ولا شيء فيه.

وبعدما سألت الأم طفلها عن مجريات الحادثة وتفصيلها، قال الطفل: كنت ألعب مع أخي فسقطت الكرة إلى الأسفل، فذهبت لأجلها فسقطت من الأعلى وإذا بامرأة تلبس رداءً أخضر تلتقطني...

قالت لي: أنا أم البنين جئت أنقذك من أجل الحسين عليه السلام هؤلاء هم الأحياء حقاً...

إذا كان الشهيد من سائر المؤمنين يقول فيه القرآن: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾، إذن فما بالك بهؤلاء الذين بهم قام الإسلام وبهم عرف الحلال والحرام...

نذر إهداء سورة يس وسورة الفاتحة لأم البنين عليها السلام

في يوم الأحد ٢٠ آذار ٢٠٠٥م وأنا أراقب الأحداث من خلال قناة الفيحاء الفضائية، إذ صعق سمعي خبر اختطاف القاضي وائل عبد اللطيف ووزير المحافظات يومئذ، فاعتراني ارتباك وحزن عميق هزّني من موجة اللاشعور نظراً لما يمر به أهلنا في العراق من الظروف الصعبة من جانب، ولاحتياج البنية الفكرية والإدارية للعراق أمثال الرجل المخلص وائل عبد اللطيف من جانب آخر، علماً بأن الرجل لا يربطني معه إلا الإخلاص للوطن الحبيب وهذا أقوى وثاق، الأمر الذي دعاني أتوجه إلى سيدتي أم البنين ونذرت لها هدية (٧ مرات) سورة يس إذا فرحت بسلامته، وبعد حدود الساعتين وما زالت فورة التوجه إلى السيدة أم البنين على أشدها، وإذا بخبر البشرى ينفي صحة خبر الاختطاف، فشكرت الله تعالى وقرأت يس (٧ مرات)، وفاءً بالنذر لصاحبة الوفاء عليها السلام.

خلال تدوين هذه الكرامة تذكرت كرامة أخرى فأحببت إيرادها، وهي:

كنت ذات يوم في خدمة الأستاذ آية الله الشيخ عبد الكريم الغراوي (دام علاه)، نبتغي الذهاب لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولما وصلنا إلى كراج بغداد وإذا بأمواج الناس ينتظرون سيارات النقل التي ما كانت تغطي هذه الجماهير وإذا بالشيخ خاطبني: لنقرأ سورة الفاتحة إلى أم البنين لتسهيل الأمر، بعد إتمام القراءة مباشرة، وإذا سيارة صغيرة خاصة وقفت عندنا، وخاطبنا سائقها، تفضلوا هل تريدون زيارة الحسين؟

ركبنا وتشرّفنا بالزيارة وكان ذلك من فضل أم البنين عليها السلام .

نذر ختمة القرآن الكريم لأم البنين

ينقل أحد الأشخاص أن في يوم الخامس من شهر ذي الحجة سنة ١٤٢٢هـ في المدينة المنورة:

حيث خرجت صباح ذلك اليوم إلى السوق واشتريت (كاميرا) تصوير فيديو (سوني) وفي عصر نفس اليوم خرجنا مع الأصدقاء إلى الشارع بعيداً عن محل السكن واستأجرنا سيارة (ميكروباص) للذهاب إلى المساجد السبعة. وحيث كان التصوير في المساجد ممنوعاً تركنا (الكاميرا) في السيارة إلى أن انتهينا من

الزيارات ورجعنا ليلاً، فنزلنا من السيارة في نفس الشارع أيضاً ـ أي بعيداً عن محل سكننا ـ ولما ذهبت السيارة هرع أحد الأصدقاء خلفها ينادي (الكاميرا) (الكاميرا) ولكن دون فائدة، حيث انطلقت السيارة ولم يسمع السائق نداء الأخ. فمن حيث الظاهر لم يكن أي طريق للحصول عليها، والسائق حتى لو كان يريد البحث عنا ما كان يستطيع الوصول إلينا، لأننا كما ذكرت استأجرناه بعيداً عن محل سكننا ثمّ نزلنا في نفس المكان.

فكان اليأس بادياً على وجوه الأصدقاء وأقوالهم، ولكني تلقّيت القضية بسيطة وأنها لا تستدعي استهلاك الأعصاب.

إن حصلناها فالحمد لله، وإلا فالحمد لله أيضاً. ولكن لا يعني هذا عدم الحاجة إلى السعي والتفكير والطلب من الله تعالى لاسترجاع المال الحلال.

من هنا توجهت إلى جهة البقيع وأنا واقف في مكاني، فقلت: يا أم البنين.. أيتها السيدة الجليلة، نذرتكِ إن رجعتْ (الكاميرا) بيدي فسأهدي لك ثواب ختمة القرآن الكريم.

وقلت للأصدقاء إن كانت (الكاميرا) قد اشتريتها من مالٍ حلال فستعود إن شاء الله. وإلا فلتذهب إلى مستحقيها!

وفي أول الصباح من اليوم الثاني لاحت التباشير، إذ فوجئ

الأصدقاء بمجيء السائق وهو شاب من أهل المدينة، حيث أتى بالكاميرا وهو يقول: إنني بعد بحث وسؤال عن مواصفاتكم الشكلية قد توصّلت إليكم الآن.

فسلّمنا (الكاميرا) وسلّمناه المكافأة. وبدأت فوراً بالشكر لله تعالى والدعاء للسيدة أم البنين، وزرت قبرها في نفس اليوم وأخذت أقرأ لها في القرآن العظيم وفاءً بالنذر.

السيدة أم البنين مسحت بيدها على موضع الغدة

يقول العقيد (الإيراني) المتقاعد محمّد حسين جعفر زاده:

إنه في (٢٤ من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ) اكتشفت أن زوجتي مصابة بغدة سرطانية، وأكّد الطبيب الأخصائي ذلك.

فتوسلت بالأئمة الأطهارعليهم السلام وأكّدت في توسلي على الأسماء الثلاثة (علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء والسيدة أم البنين).

بعد أسبوع واحد رأيت فيما يراه النائم من يناديني ولا أراه:

يا جعفر زاده، البشارة البشارة فقد شوفيت زوجتك.

فانتبهت من النوم وقمت صلّيت صلاة الليل وسجدت لله

تعالى سجدة الشكر، ثمّ دخل وقت الصباح فصلّيتها أيضاً. ونمت مرة ثانية وإذ أرى في المنام علياًعليه السلام والسيدة أم البنينعليها السلام دخلتا بيتنا، فجلست بين يدي الإمام وزوجتي جلست عند السيدة أم البنين، فمسحت بيدها المباركة على موضع الغدة. فانتبهت من النوم وقلت الحمد لله لقد استيقنتُ بالشفاء.

ومن أجل الامتنان من كرامة أهل البيتعليهم السلام عقدت في منزلي مجلس عزاء لذكرهم ومصابهم، وبعد أيام راجعت الطبيب نفسه، فابتسم وقال: لا أجد أي أثر للغدة يا جعفر زاده.

زيارة أم البنينعليها السلام [1]

إن لزيارة قبر السيدة أم البنينعليها السلام أهمية كبيرة توازي منزلتها لورود الأحاديث والروايات التي تؤكد على ذلك، وبوسع الإنسان المؤمن أن يزورها بهذه الزيارة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ

(١) هذه الزيارة مقتبسة من زيارة الإمام الحسين وأخيه العباسعليهما السلام في عاشوراء.

المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يَا فَاطِمَةَ الزَّهْرآءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، السَّلاَمُ عَلَيكَ يَا أَبَا مُحَمَّد الحَسَن، السَّلاَمُ عَلَيكَ يَا أَبَا عبدِ اللَّهِ الحُسَيْنِ، السَّلامُ عَلَيْكِ يَا زَوْجَةَ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ وَخَلِيفَته، السَّلامُ عَلَيْكِ يَا عَزِيزَةَ الزَّهْرَاءِ، السَّلامُ عَلَيْكِ يَا أُمَّ البُدُورِ السَّواطِعِ، السَّلامُ عَلَيْكِ يَا فَاطِمَةَ بِنْتُ حِزَامِ الكِلاَبِيَّة المُكَنَّاةُ بِـ «أُمِّ البَنِينَ» وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أُشْهِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَنَّكِ جَاهَدْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذْ ضَحَّيْتِ بِأَوْلاَدِكِ دُونَ الحُسَيْنِ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَعَبَدْتِ اللَّهَ مُخْلِصَةً لَهُ الدِّين بِوَلائِكَ للأَئِمَّةِ المَعْصُومِينَ، وَصَبَرْتِ عَلَى تِلْكَ الرَّزِيَّةِ العَظِيمَةِ، وَاحْتَسَبْتِ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَآزَرْتِ الإِمام عَلِيَّ بنَ أبي طالبِ عليه السلام في المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالمَصَائِبِ وَكُنتِ فِي قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالوَفَاءِ، وأَشْهَدُ أَنَّكِ أَحْسَنْتِ الكَفَالَةَ، وَأَدَّيْتِ الأَمَانَةَ الكُبْرَى في حِفْظِ وَدِيعَتَيْ الزَّهْرَاءِ البَتُولِ عليها السلام، السِّبْطَين الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عليهما السلام وَبَالغْتِ وَآثَرْتِ وَرَعَيْتِ حُجَجَ اللَّهِ الميامينَ، وسَعَيْتِ فِي خِدْمَةِ أَبْنَاءِ رَسُولِ رَبِّ العالمِينَ، عَارِفَةً بَحَقِّهِم، موقِنَةً بِصِدْقِهِم، مُعْتَرِفَةً بِإِمَامَتِهِم، كَافِلَةً بِتَرْبِيَتِهِم، مُشْفِقَةً عَلَيْهِم، وَاقِفَةً على خِدْمَتِهِم، مُؤْثِرَةً هَوَاهُم وَحُبَّهُم عَلَى أَوْلاَدِكِ السُّعَدَاءِ، فَسَلامُ اللَّهِ عَلَيْكِ كُلَّمَا دَجَنَ اللَّيلُ، وَأَضَاءَ النَّهَارُ، فَصِرْتِ قُدْوَةً للمُؤْمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ لأَنَّكِ كَرِيمَةَ الخَلائِقِ

تَقِيَّةً زَكِيَّةً، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْكِ وَأَرْضَاكِ، وَجَعَلَ الجَنَّةَ مَنْزِلَكِ وَمَأْوَاكِ، وَلَقَدْ أَعْطَاكِ مِنَ الكَرَامَاتِ البَاهِرَاتِ حَتَّى أَصْبَحْتِ بِطَاعَتِكِ لِسَيِّدِ الأَوْصِيَاءِ وَبِحُبِّكِ لِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ الزَّهْرَاءِ البَتُولِ عليها السلام، وَفِدَائِكِ بِأَوْلادِكِ الأَرْبَعَةِ لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عليه السلام، بَاباً لِلحَوَائِجِ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَأْناً وَجَاهاً مَحْمُوداً، والسَّلامُ عَلَى أَوْلادِكِ الشُّهَدَاءِ العَبَّاسُ عليه السلام قَمَرُ بَنِي هَاشِم بَابُ الحَوَائِجِ، وَعَبْدُ اللَّهِ وعُثْمَانُ وَجَعْفَرُ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي نُصْرَةِ الحُسَيْنِ عليه السلام بِكَرْبَلاء، فَجَزَاكِ اللَّهُ وَجزَاهُمْ أَفْضَلَ الجَزَاءِ في جَنَّاتِ النَّعِيم، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وانفعني بِزِيَارَتِها، وَثَبِّتْنِي عَلَى مَحَبَّتِها، وَلاَ تَحْرِمْني شَفَاعَتَها وَإِذَا تَوَفَّيْتَني فَاحْشُرْنِي في زُمْرَتِها، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

اللَّهُمَّ بِحَقِّهِم عِنْدَكَ ومَنْزِلَتِها لديك اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ولِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ، وآتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين.

الفصل الثامن

أم البنين في لسان الشعر

قال الشيخ محمّد علي اليعقوبي عليه الرحمة:

دعاني فلبّيتُه مُذ دَعا
هوىً أودعَ القلبَ ما أودعا

وما زلتُ أعصي دواعي الغرام
ولولاكُمُ لم أُجِب طيِّعا

إذا القلبُ فيكم جوىً لا يذوب
فقد كذِبَ القلبُ فيما ادعى

بكيتُ على ربعكم قاحلاً
فأخصَبَ من أدمعي مُمرِعا

فلا النومُ خالط لي ناظراً
ولا اللوم قد خاض لي مسمعا

يظنّ الخَليُّ إلى لَعلَعٍ
حنيني ومَن سكَنوا (لعلعا)

جزَعْتُ ولولا الذي قد أصاب
بين الوحي ما كِدتُ أن أجزعا

بيومٍ به ضاع عهدُ النبي
وخانت (أميةُ) ما استودعا
غداةَ أبو الفضل لفّ الصفوف
وفَلّ الظُّبى والقنا الشُّرَّعا
دعا بالوفاءِ عهودَ الإخاءِ
رعى الله ذمَّةَ موف رعى
فتًى ذكَّر القومَ مذراعهم
أباه الفتى البطلَ الأروعا
إذا ركعَ السيفُ في كفِّهِ
هوت هامُهم سُجَّداً رُكَّعا
وحول الشريعة تحمي الفرات
جموع قضى البغيُ أن تَجمعا
ولَو أنَّ غُلّةَ أحشائِه
بِصلدِ الصفا كادَ أن يُصدعا
وآبَ ولم يُروَ مِن جرعةٍ
وجرَّعه الحتفُ ما جَرَّعا
فُجُنِّبَ وِرد المعينِ الذي
بهِ غُلةُ السبطِ لن تَنقَعا

فخَرَّ على ضفةِ (العلقمي)

صريعاً فأعظِم به مصرعا

فما كان أشجى لقلب الحسين

وآلَمَ منهُ ولا أفظَعا

رأى دَمه للقَنا منهَلاً

وأوصالَه للظُبى مرتعا

قطيعَ اليمين عفِيرَ الجبينِ

تَشقُّ النصالُ له مضجعَا

أبدَر العشيرةِ من هاشمٍ

أفلتَ وهيهاتَ أن تطلَعا

فقَدتُكَ يابن أبي واحداً

ثُكِلْتُ به (مُضَراً) أجمعا

وإن أنسَ لا أنسى أم البنين

وقد فقَدت وُلدَها أجمَعا

تنوحُ عليهم بوادي البقيع

فيُذري (الطريدَ) لها الأدمعا

ولم تسلُ من فقَدت واحداً

فما حال من فقَدت أربَعا

هذه الباقة من ديوان (الدموع الناطقة) للأستاذ جابر الكاظمي وهي بعنوان (الإمام السجاد عليه السلام وأم البنين)

حـزنـاً بـكـيـنـا لـمـا رأيـنـا
مـصـيـبـة الـسـجـاد
فـتَـى عـلـيـلٌ لـهُ عـويـلُ
يـقـطّـع الأكـبـاد
يـدعـو بـالأنـيـنِ
يـا أمّ الـبـنـيـنِ

* * *

حـريـم الله قـد عـادت مـن الأسـفـار
تـحـدو ركـبَـهـا الآهـاتُ والأقـدار
والـسـجـادُ فـيـهـم يـسـكـبُ الأعـبـار
يَـنعى فقدَ آلِ الـمـصطفى الـمـختار
يـنـادي أيـن أم الـصـفـوة والأطـهـار
يـا مـنـجـبـةَ الأربـعـة الأقـمـار
الـيـومَ عُـدنـا لـمّـا فـقَـدنـا
رجـالَـنـا الأكـرام
آهٍ عـلـيـنـا لـقـد أتَـيـنـا
بـالأهـل والأيـتـام

هــلاّ تـــســمــعــيــنــي

يــا أم الــبــنــيــنِ

ذهبنا عنكِ والموتُ بنا يسعى

إلى أرضِ المنايا كربلا تُدعى

وناعي الموتِ لمّا جاءنا ينعى

رأيتُ أهلَنا فوق الثرى صرعى

أحاط القوم والخيلُ بنا جَمعا

وتلك الأرضُ قد ضاقت بنا ذَرعا

ننعى نفوساً نبكي شموساً

غابت ببحرِ دماء

وكم هلالٍ على رمالٍ

مُقطّعُ الأعضاء

كم جسمٍ رهينِ

يا أمّ البنينِ

وذا صوتُ الأسى من أكبُدٍ حَرّى

ألا قد عظّم الله لكِ الأجرا

في الطف بنوكِ قد قضوا صبرا

وكلٌّ خلتُه لمّا هوى بدرا

وفيهم عميّ العباسُ قد أجرى
له الموتُ دماءً خلتُها بجرا
قلبي حزينٌ له أنينٌ
يخالط الأنفاس
فضاقَ صدري والدمعُ يجري
لعميَ العبّاس
مقطوعَ اليمين
يا أم البنين

* * *

فؤادي مقتلُ العباس أوراهُ
ومِن عيني عصيُّ الدمعِ أجراهُ
بِجنبِ النهر سهمُ الشِّركِ أرادهُ
وحزٌّ السيف يمناهُ ويُسراهُ
شعاعُ البدرِ كيف الموت أخفاهُ
وكيفَ البينُ قد أخفى مُحيّاهُ
قصدتُ نهراً رأيت بحراً
من الدماءِ يسيل
صَبرتُ قسراً وَجَدتُ بدراً
على الرمالِ قتيل

مـفـضـوخَ الـجـبـينِ
يـا أم الـبـنـينِ

* * *

قالت بعدما ناحت على الأبناء
وقاكَ الله مما تُحدِثُ الأرزاء
صِف لي ما جرى في عصر عاشوراء
صِف لي ما أناب عَترةَ الزهراء
هلاَّ غُسِّلَت أجسادُهم بالماء
وهل شِيلَت على أعوادِها الأعضاء
أعطى خطاباً أبدى جواباً
بالهمِّ والأشجان
ما غَسّلوهم ما كفنوهم
إلا من الكثبان
كم قلبٍ طعينِ
يا أم البنينِ
ومما يوقد الأحشاءَ نيرانا
حسينٌ والدي قد مات عطشانا
بلا غسل صريعاً بين قتلانا
سليبَ الجسم فوق الأرضِ عُريانا

أذاقـــوهُ مِــنَ الأهـــوالِ ألـــوانـــا
فَـصـارَ الـسـبـطُ لـلـفـرسـانِ مـيـدانـا
قلبي تَلهَّف وكنتُ في الطف
أنـظـر بـعـيـنِ الـلَّـه
نـحـرَ الـحـسـيـن رأتـه عـيـنـي
تـــســيـــلُ مـــنـــهُ دمـــاه
مـــحــــزوزَ الـــوتـــيـــنِ
يـــا أم الـــبـــنـــيـــنِ

* * *

تـركـنـا أهـلـنـا فـي كـربـلا قـتـلـى
ونـالَ الـموتُ مـنـا الـصـحـبَ والأَهـلا
يـــا أَم الـــبـــنـــيـــنِ مـــا لـــنـــا إلا
أن نُـعـطـي زِمـامَ الأمـرِ لـلـمـولـى
وَوعــدُ الله يـــا أيـتـهـا الـثـكـلـى
بـأن تـجـمـعَ فـي الـخُـلـدِ لـنـا شـمـلا
عـنـد الـبـلايـا عـنـد الـرزايـا
الـــصـــبـــرُ خـــيـــرُ دَواء
الأجـــرُ وافـــرِ وكـــلُ صـــابـــر
يـــنـــالُ خـــيـــرَ جـــزاء

بـــالله اســـتــعـــيــنـــي

يـــا أم الـــبـــنـــيـــنِ[1]

* * *

وقال السيد سلمان هادي آل طعمة قصيدة في المناسبة:

إنـــي أُفـــدي بـــالأهـــل والـــولـــد

مَـن ذكـرهـا لـم يـغـب عـلـى أحـدِ

بـــنـــت حـــزامٍ وزوج حـــيـــدرة

مـحـروسـة بـالـمـهـيـمـن الـصـمـدِ

لـــم أنـــسَ أم الـــبـــنـــيـــن حـــاســـرة

أمـــســـت بـــلا نـــاصـــرٍ ولا عـــضُـــدِ

أذكـى لـظـى قـلـبِـهـا الـبـكـاءُ وكـم

أدمـت حـشـاهـا نـوائـب الـنَّـكـد

فـهـي بـيـوم الـطـفـوفِ مـا شـهِـدت

شـبـلَ عـلـيٍّ مـوزّع الـجَـسَـد

كـــأن أولادهـــا الـــذيـــن هـــووا

مـــطـــالـــع مـــن أهـــلّـــةٍ بَـــدد

صـابَ الأسـى جُـرّعـت فـمـا وهـنـت

وقَـلـبُـهـا لا يـزالُ فـي كَـمـدِ

---

(١) لندن ١٩٩٨م.

تكابدُ الفادحاتِ صامدةٍ
وبات منها الفؤاد في جَلَدِ
لأهل بيتِ الرسول مخلصةٍ
وغير آل الرسولِ لم تَجِد
ولاؤها المحضُ في مودتهم
يحكيه كُل الورى بمُحتَشِد
بالدمع تُطفي الجوى لمحنتهم
أعظم بها من قرينةِ الأسدِ
أم أبي الفضل خيرِ معتمد
وأم عثمانَ بيضة البَلَد
ثالثهم جعفر الأبي ومَن
ما لان في شدّةٍ ولم يَحُدِ
وأم عبد الله الذي اجتمعت
فيه خصالُ تهدي إلى الرشَد
هفا فؤادي في حبها شغفاً
فهي ملاذي من جور مضطهد
ما أنت إلا طود الفخار سما
ويا صباحاً يرفّ في خَلَدي(١)

---

(١) خَلَدي: فكري وخاطرتي.

مــا أنــتِ إلاّ زلال ذي طــمــأ
وأنــتِ بــرءٌ لــلأعــيــن الــرُّمُــد
يا شمس أفق تجلّى الخطوب بها
شــعّــت ســنــاً مــن غــلائــل جُــدُد
قــد حــسُــنــت ســيــرةً ومــكــرُمــةً
والفضلُ بها كالروح في الجَسدِ
أبــوابُ جــودٍ لــهــا مــفــتــحــةٌ
فــرع أصــول الأحــســابِ والــصــيــدِ
مــا بَــرِحــت عــزّنــا وســؤددنــا
تــاج فــخــارٍ مــن ســالــفِ الأمَــدِ

وقال الشاعر الشيخ أحمد الدجيلي:

أم الــبــنــيــن ومــا أســمــى مــزايــاك
خَلَّدتِ بالصبرِ والإيمانِ ذكراكِ
أبناؤكِ الغُرُّ في يومِ الطفوفِ قَضوا
وضُمِّخوا في ثراها بالدم الزاكي
لمّا أتى بِشرُ ينعاهم ويَندُبهم
إليك لم تَنفجِر بالدمعِ عيناك
وقُلت قولتَكِ العظمى التي خَلُدت
إلى القيامة باق عطرُها الزاكي

أفدي بروحي وأبنائي الحسينَ إذا
عاشَ الحسينُ قرير العينِ مولاكِ

قال الأستاذ عادل الكاظمي:

مصيبةُ الطف في عينيكِ ترتسِمُ
وفي فؤادِكِ نارُ الحزن تضطَرِمُ
أمَّ البنينَ رعاكِ الله صابرةً
لِما أصابَكِ وهو الحارثُ الضَّخِمُ
أبناؤُكِ الغرُّ غيلوا في الطفوف وما
سَألتِ هل قُتِلوا فيها وهل سَلِموا
كواكبٌ في سماءِ الخُلدِ تَأتلِقُ
وفي ثرى الطفِّ في الأسياف قد خُدِموا
كنتِ الوفاءَ وكانوا منكِ قد وَرِثوا
أجلى معانيه فازدانت بكِ الشِّيم
ومذ أتى الناعي ينعاهم فما فَتِأت
على شفاهِكِ خوفاً تَعثَرُ الكَلِمُ
هلاّ أصيبَ حسينٌ فالبنونَ فدًى
لابن الرسولِ فقد أودى بكِ الألَمُ
ومذ علمتِ بقتل السبطِ فاضَ دَمٌ
مِن مُقلَتَيكِ على الخدين يَنسَجِم

وَصِحتِ ويلاهُ فقدُ السبطِ أثكلني
فَيا عمادِيَ ظهري اليومَ مُنفَصِم
بِمَن ألوذ إذا ما الدهرُ أفجعني
ومَن سواكَ من الأهوالِ مُقَصِم
قد كنتَ للدين غوثاً والهدى عَلَماً
فاليوم لا غوث يُرجى وانطوى العَلَمُ
بُني حُسينُ عليك القلبُ مُزدَهَفُ
والعينُ ساهِدةٌ والروحُ مُحتَدِم
بُني حسينُ فليتَ الموتَ عاجَلَني
من قبلِ فَقدِكَ إنَّ الصّبرَ مُنعَدِم
فليتني متُّ قبل اليوم لا هَطَلت
وأنتَ ظامٍ على بوغائِها الدِّيَمُ

وقال السيد محمّد كاظم الكفائي:

أمٌّ على أشبالها أربَعٍ
جاءت لبِشرٍ وبهِ تستعين
وتَحمل الطفلَ على كتفِها
تستهدي فيه خبرَ القادمين
ملهوفةً مما بِها مِن أسى
ترى بذاك الجمعَ شيئاً دفين

فـقـال يـا أمّ ارجـعـي لـلـخِـبـا
وابـكـي بـنـيـكِ قُـتّـلـوا أجـمـعـيـن
فـمـا انـثـنـت ومـا بـكَـت أمُّـهـم
وخـابَ مـنـهُ ظـنُّـه بـالـيـقـيـن
كـأنـهـا الـطـودُ ومـا زُلـزلـت
وحـقّ أن تُـجـري لـهـم دمـعَ عـيـن
فـقـالَ يـا أم الـبـنـيـن اعـلـمـي
بـأنّ عـبـاسـاً قـتـيـلاً طـعـيـن
قـالـت طَـعـنـتَ الـقـلـبَ مـنـي فـقـل
الـنـفـسُ والـدنـيـا وكـلُّ الـبـنـيـن
نَـمـضـي جـمـيـعـاً كـلّـنـا لِـلـفَـنـا
نـكـونُ قـربـانـاً فـدىً لـلـحـسـيـن

ومن قصيدة دالية للشاعر والرادود السيد مرتضى السندي:

سـر بـالـمـشـاعـر لـلـحـجـاز ونـادي
يـا روضـة الإيـمـان والأمـجـادِ
عـن وجـهـة الإسـلام هـلا تُـخـبـري
أجـيـالـنـا عـن رفـعـة وجـهـادِ
أيـام بـنـت حـزام فـاطـم مَـن بـهـا
وبـذكـرهـا الـسـهـل امـتـلـى والـوادي

دخلت لدار المرتضى تحنو على
أولاده وتذوبُ في الأولاد
أم البنين وحسبُها مِن مَفخر
ما أدخلتهُ عليه مِن إسعادِ
ومِنَ الثِّمارِ غالها بين الملا
نعمَ الليوثُ لوقفةٍ ونجاد
جادت بهم دون الحسين وقدمت
أولادها بعزيمة وسَداد
حتى إذا قالوا لها قُتل الذي
عنه تذودي أعولت بحِراد
ولدي قُتلت وليت قبلك مقتلي
يا مقرحَ الأجفان والأكبادِ
أحسينُ تذبح ظامياً في كربلا
والرأسُ منك يُشالُ بالأعواد
ولدي أما كانت لديك عشيرةٌ
لتندب عنك تلهُّفا بتفادي
حتى أتتك بنو أمية مفرداً
وتواردوك بشفرةِ الأحقادِ
سأقول أربعة فديتُ لأجلهِ
وغمرتُهُ بمحبّتي ووِدادي

لـكـنـمـا شـاء الإلـهُ لآلِـهِ
شـرفَ الـخـلـودِ يُـنـال بـاسـتـشـهـادِ

وهذه الأرجوزة من نظم الأديب الخطيب الشيخ محسن الفاضلي:

أم الـبـنـيـن زوجُ مـولانـا عـلـي
ناهيكمو عن ذلك الفضل الجلي
والـدةُ الـعـبـاسِ ذيـاك الأعـز
شـمـسُ الـكـراماتِ ونـجـلُـهـا قـمـر
بـهـا إلـى الله تـوسّـل كـي تـنـل
كـل الـذي تـرجـو وتـحـظـى بـالأمـل
تـلـك الـتـي مـثَّـلـتِ الـمـودّة
فـي آل طـه فـي الـرخـا والـشـدّة
مِـن صـبـرِهـا لـلّـه يـومَ أقـبـل
نـاعـي الـحـسـيـنِ والـدمـوعَ أسـبـل
تـسـألـهُ كـأنـهـا لـم تَـسـمـع
نـعـيَ شـهـيـد كـربـلا ولـم تـعِ
تـقـول أخـبـرنـي عـن إمـامـي
والـطـرفُ مـنـهـا بـالـدمـوع هـامـي

أخـبـرَهـا آهٍ بـفـقـدِ الأربـعـة

أبـنـاءَهـا وهـو يُـهـلّ أدمُـعَـه

قـالـت هـمُ الـفـداءُ لـلـحـسـيـنِ

روحِ نـبـيـنـا ونـورِ عـيـنـي

لا تـخـفِ بـاللّـه عـلـيـكَ عـنـي

حـقـيـقـةَ الأمـرِ أهـجـتَ حُـزنـي

هـل الـحـسـيـنُ عـائـدٌ فـانـتـظِـر

فـعـنـدهـا قـال بـدمـعٍ مُـنـهَـمِـر

آجَـرَكِ الـلّـه قـضـى بـكـربـلا

ظـمـآن مـذبـوحـاً بـهـاتـيـك الـفـلا

ولا تـسـل عـن حـالِـهـا مُـذ سَـمِـعَـت

ذلـك بـالـحُـرقـة نـادت وبـكـت

يـا أسـفـاً عـلـيـك يـابـن الـمـصـطـفـى

بـعـدك مـولاي عـلـى الـدنـيـا الـعـفـا

هـيـهـاتَ أن أهـنـى بـعـيـش حـتّـى

أكـون عـاجـلاً عُـدادَ الـمـوتـى

فِـعـلاً قـضـت أيـامـهـا حـتـى قـضـت

حُـزنـاً ومـن كـثـرةِ مـا فـيـهـا بـكـت

والتحقت لهفي لها بالزهرا
بمهجةٍ من المصاب حَرّا

وهذه قصيدة للشاعر علي محمّد الحائري:

ذَرِ العينَ تَذرفُ دَمعاً هَتوفا
لأمِ الضياغمِ أُمِّ البَنينا
رَعَت عُرسَهُم في ذرى حيدر
زُغابا إلى عودِهم يافعينا
تشمُّ بهِم نفحاتِ الوصي
أبيهم وتمتارُ[1] منهم غصونا
ومَنْ مثلُها في رحابِ الجلالِ
وقد أشرفَت بعليٍّ قرينا
مضت فاطمُ وهي كلمى الفؤاد
إلى اللّه تَحمِلُ بثاً دفينا
تَخَمَّطُ مِن إرثِها الأقربون
على حُجةٍ لم تثبت يقينا
هَبوا الأمرَ قد صحّ هلاّ رعَوا
ذمامَ النبوةِ في الوارثينا

---

(١) تمتارُ: تتوجّس وتتطلع لما تكسب.

ويـورَثُ موسى لهارونهِ
فهل شطّ عن فاطم المورثونا؟
وما شرعة اللّه قد دُوِّلَت
وما بُليت سنةُ الشارعينا
مضت وجراحُ عليٍّ تَنزُّ
دماً راعفاً واحتمالاً ضنينا
وما كانَ أقربَ عهدَ اللقاءِ
به وذا دَيدَنُ الوامقينا
أهال الترابَ على رَمسِها
وقد هدّ ثهلانَ منه المُتونا
أفاطمُ بعدَكِ أم البنين
ستقبس من جَمرةِ المصطلينا
ستَحمل عَنكِ حنانَ الأمومة
قلباً رؤوماً وصدراً حنونا
هي الكُفءُ تَعقُب خيرَ النساء
أرَبَّت على شِيمِ الحازمينا
سليلُ الأكارمِ من قَومِها
وبنتُ البهاليل إذ ينسبونا

ومن أنجيت لافتداءِ الحسين
أخاً شدّ منه الحزامَ المتينا
تكَفَّلَ مِن محملِ الظاعنين
ببوغاء يَعيى بها الكافلونا
حمى حرمَ الذودِ في ليلةٍ
توارى بحَندَسِها المذعرونا
تناهى إليه نداءُ ابنِ جو
شنَ أسرع إلينا كثاراً عزينا
لقد غَمزوا منه صدرَ القناة
وحاشا لصُلبِ القنا أن تلينا
ولا كالمبادئ تبلو الرجال
فتَجلو صِراحاً وتعرى هجينا
ولا كأبي الفضل يحمي الذمار
إذا نُكِث العهدُ من ناكثينا
فيا حاملاً رايةَ الخالدين
ويا حامل الماءِ للظامئينا
ويا ملصقاً بالوكاءِ النواجذ
براً بوعدِكِ مِن أن يَمينا[1]

(١) يمينا: يكذب.

فإن أنتَ أعطيتَ منك الشمال
فَشرخٌ بعهدك تُبقي اليمينا
ويا أمَّ من نصروا في الطفوف
حسيناً ولم يرتضوا العيشَ هُونا
هَززتِ بهم راسياتِ الجبال
بما نلتِ من ذكرهم ثائرينا

نظمت هذه القصيدة عام ١٩٩٣ في طهران:

قوموا فداءً للحُسين
تدعوكمُ أم البنين
* * *
أولادنا أكبادُنا
يا فتيتي هذا المنى
إن قلتمُ يا ليتنا
قوموا إلى درب الهنا
في نُصرةِ الوحي الأمين
تدعوكم أم البنين
* * *

لو خضتم جمرَ الغَضا

إن تطلبوا مني الرضا

هبّوا إلى حكمِ القضا

في نصر ابن المرتضى

امضوا الدحرِ الظالمين

تدعوكم أم البنين

* * *

عهداً لسبط المصطفى

يا من خُلِقتُم للوفا

واسُوهُ بذلاً وكفى

لا تقربوا أهل الجَفا

لا تركنوا للظالمين

تدعوكم أم البنين

* * *

السبطُ أسمى من سمى

يدعو إلى رب السما

لو ناله حرُّ الضما

حاموه في سفكِ الدما

واسوا إمامَ المتقين

تدعوكم أم البنين

* * *

يا فتيتي في كربلا

يدعوكم خير المَلا

إن حلّ كربٌ أو بلا

لا تصبروا كي يُقتلا

وافدوهُ في قطع الوتين

تدعوكم أم البنين

* * *

كونوا ليوثاً في اللّقا

لو أقبلت أهل الشقا

واسوه عند المُلتقى

في العلقمي عند السقا

لا تشربوا الماءَ المعين

تدعوكم أم البنين

* * *

أوصيكم يا فتيتي
عن وضع حالِ المحنةِ
إن يدعُكُم يا إخوتي
شدوا لصوتِ البضعةِ
نحو ابن خيرِ المرسلين
تدعوكم أم البنين

* * *

لا تجعلوه ينـدُبُ
فالجسمُ منه يُسلَبُ
تبكيه حُزناً زينب
والخدرُ ناراً يَلهب
جدّوا إليه عن يقين
تدعوكم أم البنين

* * *

نظمت هذه القصيدة عام ١٩٩٢م في طهران:

أولادي لكم نهجُ الفلاح
بسم السبط جِدّوا في الكفاحِ

فيكم هدى التأويلَ

في مُحكَمِ التنزيلَ

* * *

للطفٌ دَعَت أم البنين

في دربِ الحسينِ

قرّوا يا أُباةَ الضيمِ عيني

في دربِ الحسينِ

وافدوا كل شيءٍ للحسين

في دربِ الحسينِ

هذا بينكم عهدي وبيني

في دربِ الحسينِ

هذا مجدُكم في التضحياتِ

إن واسيتُمُ كهفَ النجاةِ

عن يومكم تفصيل

في محكمِ التنزيل

* * *

أولادي هنا دَورُ الرجالِ

في خوضِ القتالِ

والإسلامُ يدعو للنضالِ

في خوضِ القتالِ

قوموا وانصروا نهجَ المعالي

في خوضِ القتالِ

ثوروا وادحروا جيش الضلالِ

في خوضِ القتالِ

نصرُ العدلِ في نصرِ الحسين

هذا فخرُكم في النشأتين

إن تنظروا التحليل

في محكم التنزيل

* * *

سعياً نحوَ أعناق الطغاةِ

جِدّوا في الثباتِ

لا تَخشَوا بريقَ الماضياتِ

جِدّوا في الثباتِ

يدعوكم هنا رمزُ الأُباةِ

جِدّوا في الثباتِ

نـحوَ الـباقـياتِ الـصالـحاتِ

جِـدّوا فـي الـثـبـاتِ

سبطُ المصطفى بين الأعادي

للإسلام يدعو للجهادِ

لا تـطـلـبـوا الـتـبـديـل

في مـحكـم التـنـزيـل

* * *

هــذا وارثٌ لــلأنــبــيــاءِ

فــي أمــرِ الــســمــاءِ

فـخـرُ الأوصـيـاءِ الأزكـيـاءِ

فــي أمــرِ الــســمــاءِ

ضـام قـلـبُـهُ فـي كـربـلاءِ

فــي أمــرِ الــســمــاءِ

إذ يـمـضـي شـهـيـداً لـلإبـاءِ

فــي أمــرِ الــســمــاءِ

ثـوروا قـبـلـه نـحـو الـسـيـوف

كالأسُدِ بميدانِ الطفوفِ

فـي الـذكـر والـتـهـلـيـل

في مـحـكـم الـتـنـزيـل

* * *

يـا فـتـيـان داحـي بـاب خـيـبـر

داعـــي الـــحـــقِّ كـــبَّـــر

شـدّوا الـعـزمَ يـا أبـنـاء حـيـدر

داعـــي الـــحـــقِّ كـــبَّـــر

فـيـكـم طـيـلـةَ ا الأزمـانِ أفـخـر

داعـــي الـــحـــقِّ كـــبَّـــر

لـو جـاهـدتُـمُ الـجـيـش الـمُـغَـرَّر

داعـــي الـــحـــقِّ كـــبَّـــر

ظـلـمـاً حـاربـوا عـزاً مـجـيـداً

واختاروا مع الذُلِّ يزيدا

مـــنـــهـــاجُـــهُـــم تـــضـــلـــيـــل

في مـحـكـم الـتـنـزيـل

* * *

في الـطـفِّ ستَـلـقَـونَ الـمـنـونـا

هـــا هـــم ظـــالـــمـــونـــا

هـذا الـمـوتُ عـزٌّ يـا بـنـونـا

هـا هـم ظـالـمـونـا

آمـالـي هـنـا تـسـتـشـهـدونـا

هـا هـم ظـالـمـونـا

لـلـمـجـد ألا يـا خـالـدونـا

هـا هـم ظـالـمـونـا

فـتـيـانـي هـنـيـئـاً فـي الـورودِ

في الطفِّ مفاتيحُ الخلودِ

مـن يـومـكـم إكـلـيـل

فـي مـحـكـم الـتـنـزيـل

* * *

يـا عـبـاسُ تـبـقـى فـي ظـمـاءِ

عـطـشـانـاً لـمـاءِ

مـطـروحـاً بـوادي كـربـلاء

عـطـشَـانـاً لـمـاءِ

مـقـطـوعَ الـيـديـنِ فـي الـعـراءِ

عـطـشَـانـاً لـمـاءِ

ذوداً فــي مــواســاةِ الإخــاءِ

عــطــشَــانــاً لــمــاءِ

يا عيني على العباس جودي

أحنى رأسَهُ ضربُ العمودِ

فــي خَــطــبــكــم تــجــلــيــل

فــي مــحــكــم الــتــنــزيــل

* * *

المُحتَوَيات



الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

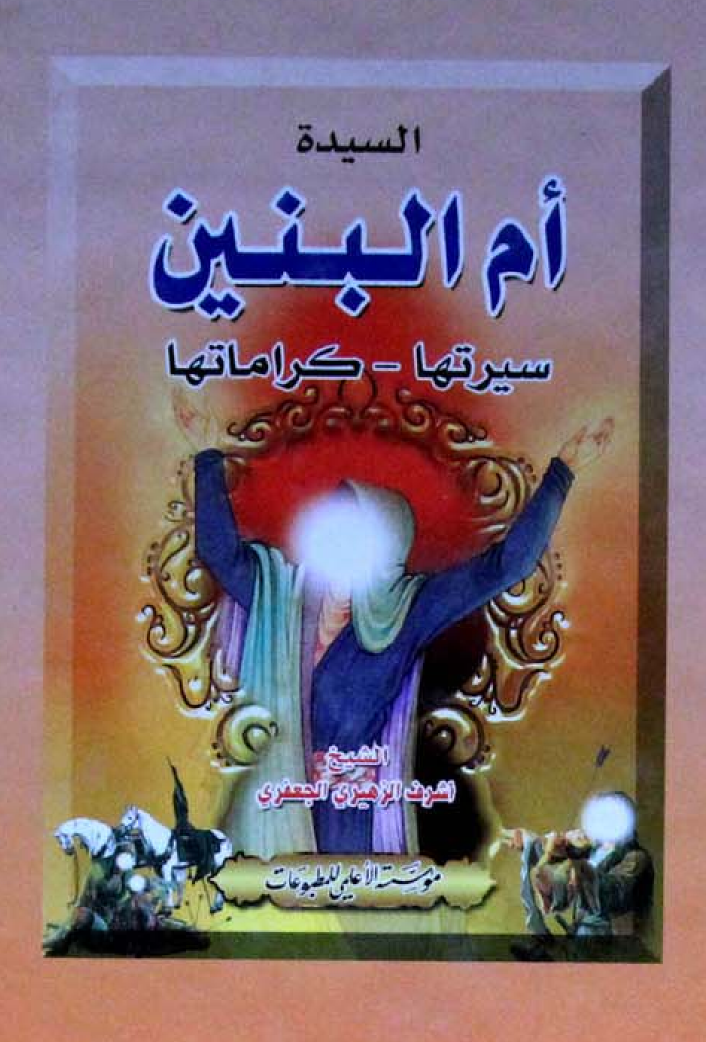
الفصل السابع

الفصل الثامن






مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف





مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور - ص . ب :٧١٢٠ / ١١
هاتف : ٤٥٠٤٢٦ - فاكس :٤٥٠٤٢٧ /٠١
فرع ثاني : العراق - كربلاء - شارع السدرة
موبايل :٠٧٨٠١٥٦١٩٨٠ - هاتف : ٣٢٢٤٠٦
Published By Alaalami Library
Beirut - Lebanon P.O.Box 7120
Tel - Fax : 450427
E-mail:alaalami@yahoo.com.
WWW.ALAALAMI.COM